مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

ما تريده داعش فعلاً

تأليف:
غرايم وود

ترجمة:
محمد عبده أبوالعلا

2024

www.mominoun.com

- **ترجمة**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 08 مارس 2024

جميع الحقوق محفوظة © 2024

ما تريده داعش فعلاً[1]

بقلم: **غرايم وود**[2]

ترجمة: **د. محمَّد عبده أبو العلا**

1 Graeme Wood, "What ISIS Really Want" the Atlantic, March, 2015.

2- صحفي كندي، يكتب لعدد من المجلات والصحف، مثل مجلة نيويوركر The New Yorker، ومجلة أميركان سكولار American The Scholar، ومجلة بلومبرغ بيزنس ويك Bloomberg Businessweek، وصحيفة وول ستريت The Wall Street Journal، وغيرها من المجلات والصحف. يعمل الآن محرراً مستقلاً freelancer لمجلة أتلانتيك. ويعمل أيضاً محاضراً في العلوم السياسيَّة بجامعة ييل.

الملخص:

حمل غلاف عدد مارس 2015 من مجلة أتلانتيك The Atlantic الأميريكيَّة عنوان أهمّ مقالات هذا العدد، وهو: «ما تريده داعش فعلاً» What ISIS Really Wants. يتعرَّض الصحفي غرايم وود Graeme Wood في هذا المقال للأسس الفقهيَّة والدينيَّة للأيديولوجيا التي تقود داعش وتوجِّه تحركاتها على الأرض، تلك الأيديولوجيا التي يصفها وود بالنقاء (أو الوضوح) purity. يحاول وود، من خلال هذا المقال، وضع داعش تحت المجهر للكشف عن طموحاتها وخططها الاستراتيجيَّة، وذلك بهدف التوصُّل في النهاية إلى الخيار الأفضل لإحباط هذه الطموحات وإفشال تلك الخطط.

ينتقد وود في هذا المقال التشوُّش الحادث في فهم القيادات الغربيَّة والأمريكيَّة لداعش، ويضرب مثلاً على ذلك بالرئيس الأمريكي «أوباما» الذي ينظر إلى داعش باعتبارها ما تزال حتى الآن فرعاً من تنظيم القاعدة. سعى وود للقضاء على هذا التشوُّش، فقام بالتمييز بين داعش وتنظيم القاعدة. ولم يكتفِ بذلك، فقد أراد تعميق فهم داعش وإبراز الملامح الرئيسة لأيديولوجيتها، فتطرَّق أيضاً للملامح الرئيسة التي تُميِّز الإخوان المسلمين والسلفيَّة (الدعويَّة) عن داعش.

اعتمد وود في كتابته لهذا المقال على تصريحات قيادات تنظيم داعش وكتاباتهم في مجلة دابق التي تصدرها داعش، وأيضاً على ما تبثه داعش من رسائل وفيديوهات عبر الإنترنت، بل قام وود بمقابلة عدد من منظِّري الدولة الإسلاميَّة وأنصارها المعروفين.

أولت الأوساط الثقافيَّة والإعلاميَّة اهتماماً كبيراً بهذا المقال بمجرَّد ظهوره، لدرجة أنَّ مركز الدراسات الاستراتيجيَّة والدوليَّة بالولايات المتحدة الأمريكيَّة CSIS قام بتنظيم مائدة مستديرة حول موضوع المقال دعا إليها غرايم وود شخصيَّاً.

ما تريده داعش فعلاً

الدولة الإسلاميَّة ليست مجرَّد مجموعة من المرضى النفسيين. إنَّها جماعة دينيَّة لديها معتقداتها المدروسة بعناية، ومن بين هذه المعتقدات أنَّها السبيل الرئيس لنهاية العالم المقبلة the coming apocalypse[1]. وإليك ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى استراتيجيتها ـ ولكيفيَّة وضع حد لها.

ما هي الدولة الإسلاميَّة؟ من أين أتت، وما نواياها؟ إنَّ بساطة هذين السؤالين يمكن أن تكون خادعة، وفيما يبدو فإنَّ قلة من القادة الغربيين يعرفون الإجابة عنهما. في ديسمبر [2014]، نشرت مجلة نيويورك تايمز تعليقات سريَّة على لسان الجنرال مايكل ك. ناجاتا Michael K. Nagata، قائد العمليات الخاصة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، يعترف فيها بأنَّه بالكاد بدأ يعرف سبب جاذبيَّة الدولة الإسلاميَّة. يقول ناجاتا: "إنَّنا لم نهزم الفكرة". وأضاف: "إنَّنا حتى لم نفهم الفكرة". في العام الماضي [2014] أشار أوباما، بطريقة مختلفة، إلى الدولة الإسلاميَّة باعتبارها "ليست إسلاميَّة"، وباعتبارها فرعاً من تنظيم القاعدة. عكست هذه التصريحات تشوُّشاً في فهم هذه الجماعة، بل ربَّما ساهمت في حدوث أخطاء استراتيجيَّة خطيرة.

في يناير الماضي استولت الجماعة على الموصل بالعراق، وهي الآن تسيطر بالفعل على مساحة أكبر من المملكة المتحدة. أبو بكر البغدادي هو زعيم هذه الجماعة منذ مايو 2010، ولكن حتى الصيف الماضي، فإنَّ أحدث ظهور معروف للبغدادي كان عبارة عن صورة رسميَّة جذابة لوجهه من مقرّ اعتقاله في معسكر بوكا Camp Bucca الأمريكي أثناء احتلال العراق. بعد ذلك، في يوليو من العام الماضي، صعد البغدادي على منبر جامع النوري بالموصل ليلقي خطبة شهر رمضان التي أعلن فيها عن نفسه باعتباره الخليفة الأول للأجيال في هذا الزمان، مرتقياً بقراره هذا من مستوى الخطاب الجذَّاب إلى مستوى التحديد الدقيق [لما يقصده]، وبموقفه من مستوى حرب العصابات المُطارَدة إلى كونه قائداً لجميع المسلمين. عقب هذه الخطبة تدفَّق المجاهدون من جميع أنحاء العالم على نحو غير مسبوق من حيث الوتيرة والحجم، ذلك التدفُّق الذي ما زال مستمراً.

إنَّ جهلنا بالدولة الإسلاميَّة مفهوم في بعض النواحي [لسببين]: الأول: تمثل هذه الدولة مملكة من النُسَّاك؛ الثاني: أنَّ عدداً قليلاً فقط ذهب إلى هناك وعاد مرَّة أخرى [وبالتالي لم تكن هناك مصادر كافية للمعلومات عنها]. تحدَّث البغدادي مرَّة واحدة فقط أمام الكاميرا. ولكنَّ خطابه وأشرطة الفيديو الدعائيَّة للدولة الإسلاميَّة ومنشوراتها التي لا تُعدُّ ولا تحصى موجودة على الإنترنت، كما أنَّ أنصار الخلافة يبذلون

1- يقصد الكاتب أنَّ داعش تعتقد أنَّها إحدى العلامات الكبرى ليوم القيامة، حيث تعتقد أنَّنا نعيش في آخر الزمان، وأنَّها بأفعالها تُعجِّل من الوصول للحظة نهاية العالم التي ورد ذكرها في الأحاديث النبويَّة. فبظهور داعش يبدأ العد التنازلي لنهاية العالم التي من أبرز علاماتها نشوب معركة حاسمة بين داعش، التي تعتقد أنَّها تمثل جيش الإسلام، من ناحية، وجيوش روما (أو جيوش الكفر) من ناحية أخرى. وستكون هذه المعركة في دابق بسورية التي تسيطر عليها داعش الآن، وسوف تُحسم لصالح داعش.

جهداً هائلاً لتعريف الناس بمشروعهم. يمكن أن نتفق جميعاً على أنَّ دولتهم ترفض من حيث المبدأ فكرة السلام، وأنَّها متعطشة للإبادة الجماعيَّة؛ فالأسُس الدينيَّة للدولة الإسلاميَّة جعلتها عاجزة دستورياً عن أنواع معينة من التغيير، حتى لو كان هذا التغيير يضمن بقاءها، كما أنَّها تعتبر نفسها نذيراً بنهاية العالم ـ واللاعب الرئيس في المضي قُدُماً نحوه.

تتبع الدولة الإسلاميَّة، التي تُعرَف أيضاً بدولة العراق والشام (داعش ISIS)، نوعاً مميزاً من الإسلام الذي تمثل معتقداته حول الطريق إلى يوم القيامة جوهر استراتيجيتها، تلك المعتقدات التي يمكن للغرب عن طريقها معرفة عدوه والتنبُّؤ بسلوكه. إنَّ صعود الدولة الإسلاميَّة إلى السُّلطة أقلّ شبهاً بانتصار الإخوان المسلمين في مصر عقب ثورة الخامس والعشرين من يناير (تلك الجماعة التي تنظر الدولة الإسلاميَّة إلى قياداتها باعتبارهم مرتدّين)، بينما هو أكثر شبهاً بتحقيق واقع بديل بائس يبقى فيه دافيد كوريش[2] David Koresh أو جيم جونز[3] Jim Jones على قيد الحياة لممارسة السُلطة المطلقة على نحو ثمانية ملايين، وليس فقط بضع مئات من الناس.

لقد أسأنا فهم طبيعة الدولة الإسلاميَّة من ناحيتين على الأقل:

أولاً: إنَّنا نميل إلى رؤية النزعة الجهاديَّة jihadism باعتبارها متجانسة، وإلى تطبيق منطق تنظيم القاعدة على منظمة تفوَّقت بشكل حاسم على تنظيم القاعدة. صحيح أنَّ أنصار الدولة الإسلاميَّة الذين تحدثت معهم ما زالوا يشيرون إلى أسامة بن لادن باعتباره "الشيخ أسامة" الذي يمثل عنوان الشرف، ولكنَّ النزعة الجهاديَّة قد تطوَّرت منذ عنفوان تنظيم القاعدة، وذلك في الفترة من 1998 إلى 2003 تقريباً، والعديد من الجهاديين يزدرون أولويَّات جماعة تنظيم القاعدة وقيادتها الحاليَّة. كان ابن لادن يرى أنَّ إرهابه مقدّمة للخلافة التي لم يتوقع أن يراها في حياته. كانت منظمته مرنة، تعمل كشبكة من الخلايا المستقلة المنتشرة جغرافياً. على النقيض من ذلك؛ فإنَّ الدولة الإسلاميَّة تحتاج إلى إقليم لكي تتمتَّع بالشرعيَّة، تحتاج إلى بنية [متكاملة] من أعلى إلى أسفل a top-down structure لتحكم هذا الإقليم. (تنقسم بيروقراطيتها إلى ذراعين: مدني وعسكري، وينقسم إقليمها إلى مقاطعات.)

ثانياً: لقد ضُللنا عن طريق حملة حسنة النيَّة، ولكنَّها غير نزيهة، لإنكار الطابع الديني للدولة الإسلاميَّة، ذلك الطابع الذي يعود إلى القرون الوسطى. اعترف بيتر بيرغن Peter Berge، الذي أنتج أوَّل مقابلة مع

2- كان دافيد كوريش (1959- 1993) يؤمن بأنَّه النبي الأخير، وهو مؤسس طائفة دينيَّة متطرّفة في أمريكا تُسمَّى الطائفة الداوديَّة (نسبة إلى النبي داود عليه السلام)، وهي طائفة تبشر بنهاية العالم. (المترجم).

3- جيم جونز (1931- 1978) هو مؤسس حركة دينيَّة أمريكيَّة متطرفة تُسمَّى معبد الشعوب Temple Peoples The. أقنع جونز حوالي 900 شخص من أتباعه (كان بينهم حوالي 200 طفل) بالانتحار الجماعي عن طريق تناول السم، وكان ذلك عام 1978، ثم انتحر جونز الذي قاد هذه العملية برصاصة في الرأس. (المترجم).

ابن لادن عام 1997، جزئياً، في كتابه الأوَّل الذي يحمل عنوان "مؤسسة الحرب المقدَّسة" Holy War, Inc.، بأنَّ ابن لادن إنسان من العالم العلماني الحديث. لقد مأسس ابن لادن الإرهاب ومنحه مبرراً [أو شرعيَّة]. لقد طالب بتنازلات سياسيَّة معينة، مثل انسحاب القوات الأمريكيَّة من السعوديَّة. إنَّ جنود المشاة التابعين له قد عبروا إلى العالم الحديث بثقة. لقد تَوَجَّه محمد عطا[4] [المنتمي لتنظيم القاعدة] في آخر يوم مزدحم من حياته للتسوُّق في وول مارت at Walmart وتناول العشاء في بيتزا هت at Pizza Hut.

ثمَّة سحر في تكرار هذه الملاحظة ـ أنَّ الجهاديين أناس علمانيون محدثون، لديهم شواغل سياسيَّة حديثة، وأنَّهم يتدثرون بعباءة دينيَّة تعود إلى العصور الوسطى ـ وجعلها ملائمة للدولة الإسلاميَّة. في الواقع، فإنَّ الكثير ممَّا تفعله الجماعة يبدو لا معنى له إلا في ضوء التزام صادق ومدروس بعناية لديها بالعودة بالحضارة إلى البيئة الفقهيَّة التي كانت موجودة في القرن السابع عشر، وبتحقيق نهاية العالم في نهاية المطاف.

من أكثر الممثلين، بشكل واضح، لهذا الموقف [الذي يتمثل في الالتزام بالعودة بالحضارة إلى البيئة الفقهيَّة التي كانت موجودة في القرن السابع عشر، وبتحقيق نهاية العالم في نهاية المطاف] هم مسؤولو الدولة الإسلاميَّة وأنصارها. إنَّهم يشيرون بسخرية إلى تعبير «أنصار الحداثة [أو المحدثين].» لقد أكَّدوا، في حوار معهم، على أنَّه لا تراجع عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلاميَّة التي رسَّخها النبي محمَّد وأتباعه الأوائل. إنَّهم غالباً ما يتحدَّثون بلغة الرموز والإشارات التي تبدو غريبة أو من طراز قديم بالنسبة إلى غير المسلمين، ولكنَّها تعود إلى تقاليد ونصوص معيَّنة تنتمي لعهود الإسلام الأولى.

لنأخذ مثالاً واحداً: في سبتمبر [2014]، الشيخ أبو محمد العدناني، كبير المتحدثين باسم الدولة الإسلاميَّة، دعا المسلمين في الدول الغربيَّة، مثل فرنسا وكندا، إلى إيجاد كافر و«تحطيم رأسه بصخرة،» أو قتله بالسُّم، أو دهسه بسيارة، أو «إتلاف محاصيله.» بالنسبة إلى الأذن الغربيَّة، فإنَّ العقوبات الطنَّانة التوراتيَّة ـ الرجم وإتلاف المحاصيل ـ تختلف بشكل غريب عن دعوة العدناني الطنَّانة العصريَّة للقتل عن طريق السيارات. (كأنَّه يُظهر أنَّه يمكن أن يُرَوِّع عن طريق المجاز فقط، فقد أشار العدناني أيضاً إلى وزير الخارجيَّة جون كيري باعتباره «رجلاً غريباً غير مختون».)

ولكنَّ كلام العدناني لم يكن مجرَّد هراء. إنَّ حديثه يرتبط برباط وثيق بالمناقشات الفقهيَّة والأصوليَّة، وحضّه على إتلاف المحاصيل ما هو إلا صدى لأوامر مباشرة من [النبي] محمد بألا تمسّ جيوش الإسلام مياه الآبار والمحاصيل في حالة واحدة فقط، إذا لم تكن هذه الجيوش في موقف الدفاع عن نفسها، حيث تكون حينئذٍ في بلاد الكفار، ينبغي عليها أن تكون بلا رحمة، وتفسد كلَّ شيء.

4ـ وفقا لمكتب التحقيقات الفيدرالي، فإنَّ محمد عطا (1968- 2001) هو أحد الضالعين في أحداث 11 سبتمبر 2001. (المترجم).

في حقيقة الأمر، إنَّ الدولة الإسلاميَّة هي بالفعل إسلاميَّة، إسلاميَّة جداً. صحيح أنَّها قد استقطبت المرضى النفسيين والباحثين عن المغامرة، الذين أتوا بكثرة من قطاعات ساخطة من السكان في الشرق الأوسط وأوروبا، غير أنَّ هذا الشكل من الدين [الإسلامي] الذي يبشّر به أشدّ المتحمسين له [من أنصار الدولة الإسلاميَّة] يُستمد من تفسيرات متماسكة للإسلام، ومستقاة منه أيضاً.

الواقع أنَّ كلَّ القرارات والقوانين الهامَّة التي تصدرها الدولة الإسلاميَّة تتقيد بما تُطلِق عليه، من خلال صحافتها وتصريحاتها، وعلى لوحاتها الإعلانيَّة، واللوحات المعدنيَّة لمركباتها، ومكتبتها، وعملاتها المعدنيَّة، «المنهج النبوي» the Prophetic methodology الذي يعني اتباع محمَّد الذي تتمثل فيه النبوَّة والقدوة، حتى في التفصيلات الشكليَّة. يستطيع المسلمون رفض الدولة الإسلاميَّة، وقد قاموا جميعهم تقريباً بذلك. ولكن ادعاء أنَّ الدولة الإسلاميَّة ليست بالفعل جماعة ألفيَّة[5]، لديها عقيدة دينيَّة يجب فهمها من أجل محاربتها، قد أدَّت بالفعل بالولايات المتحدة للاستخفاف بالدولة الإسلاميَّة والاعتماد على مخططات حمقاء لمواجهتها. إنَّنا سوف نحتاج للاطلاع على الأصول الفكريَّة للدولة الإسلاميَّة إذا أردنا أن نتصرَّف معها على نحوٍ لا يؤدي إلى استفحالها، بل يؤدي بدلاً من ذلك إلى تدميرها لنفسها بنفسها من خلال حماسها المفرط.

أولاً: المعتقد

في نوفمبر [2014] نشرت الدولة الإسلاميَّة فيديو لبرنامج يشبه إعلاناً تليفزيونياً يوضح عودة أصول [أو مرتكزات] هذه الدولة إلى أسامة بن لادن. اعترفت الدولة الإسلاميَّة بمصعب الزرقاوي، الرئيس الهمجي للقاعدة في العراق منذ عام 2003 تقريباً وحتى مقتله عام 2006، باعتباره بدرجة كبيرة الجد الأعلى حالياً للخليفة [البغدادي]، حيث تلا الزرقاوي اثنان من قادة حرب العصابات قبل ظهور البغدادي. من الجدير بالذكر أنَّ خليفة بن لادن، أيمن الظواهري، جرَّاح العيون المصري الشبيه بالبوم الذي يرأس حالياً تنظيم القاعدة، لم يبايع البغدادي، ممَّا أدى إلى تزايد كراهيته من قِبَل رفقائه من الجهاديين. لم يلقَ الظواهري في عزلته أيَّ تعزيز بسبب افتقاره للكاريزما، وقد ظهر عليه أثر ذلك في فيديوهات له، حيث بدا منزعجاً ومنكسر العينين. لكنَّ الاختلاف بين تنظيم القاعدة والدولة الإسلاميَّة منذ فترة طويلة فيما يتعلق بطريقة العمل (أو النهج) يفسّر لنا، على الأقلّ جزئيًّا، تعطُّش الدولة الإسلاميَّة بشكل غير عادي للدماء.

رفيق الظواهري في العزلة هو رجل دين أردني يُدعى أبا محمَّد المقدسي، 55 عاماً، الذي يُعدُّ بحق المهندس الفكري لتنظيم القاعدة والجهادي الأبرز المجهول بالنسبة إلى القارئ العادي للصحف الأمريكيَّة.

5- الجماعات الدينية الألفيَّة هي جماعات تعتقد في التدمير الوشيك للنظام الاجتماعي على يد جماعة من المخلصين الورعين بعد أن مُلئت الأرض ظلماً وجوراً بسبب الحكومات الفاسدة. فالتخلص من طبيعة الوضع الراهن البغيضة تحتاج، من وجهة نظرهم، إلى تغيير جذري، وهذا ما سيحدث قريباً في اعتقادها من خلال عدد من المناضلين الذين يتّسمون بالإخلاص والورع. (المترجم).

يتفق المقدسي مع الدولة الإسلاميَّة في معظم المسائل العقائديَّة. فكلاهما يرتبطان بشكل وثيق بالجناح الجهادي للفرع السُّنّي الذي يُسمَّى السلفيَّة التي يُشار بها، وفقاً للغة العربيَّة، إلى السلف الصالح. ويتمثل السلف في النبي نفسه وأتباعه الأوائل الذين يُجِلَّهم السلفيون ويقتدون بهم باعتبارهم نماذج صالحة لكلّ مظاهر السلوك، بما في ذلك الحرب، والثقافة، والحياة الأسرية، حتى طبّ الأسنان.

الدولة الإسلاميَّة في انتظار جيش «روما» الذي ستكون هزيمته في دابق بسورية، هي نهاية العدّ التنازلي لنهاية العالم.

كان المقدسي أستاذاً للزرقاوي، وقد ذهب الزرقاوي إلى الحرب في العراق بناءً على نصيحة أستاذه. بمرور الوقت، تجاوز الزرقاوي أستاذه في التعصُّب، حتى نال أستاذه منه التوبيخ في نهاية المطاف. كان لدى الزرقاوي ولع بالمشاهد الدمويِّة، وقد ذهب، من منطلق عقائدي، في كراهيته للمسلمين الآخرين إلى حدّ تكفيرهم وقتلهم. إنَّ التطبيق العملي للتكفير في الإسلام محفوف بالمخاطر من الناحية العقائديَّة[6]. قال النبي: «إذا قال رجل لأخيه «يا كافر» فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه». إنَّ عقوبة الرّدة في الإسلام هي الموت، ولكنَّ الزرقاوي وسَّع من نطاق السلوك الذي يمكن أن يجعل المسلمين كفاراً.

كتب المقدسي إلى تلميذه السابق [الزرقاوي] يخبره بأنَّه بحاجة إلى توخي الحذر و«ألا يُطلِق تصريحات واسعة النطاق من التكفير»، أو «يعلن أنَّ الناس مرتدُّون بسبب خطاياهم». فالتمييز بين المرتد والعاصي هو تمييز دقيق للغاية، ولكنَّ هذه هي نقطة الخلاف الرئيسة بين تنظيم القاعدة والدولة الإسلاميَّة.

إنَّ إنكار قدسيَّة القرآن أو نبوَّة محمَّد تمثل ارتداداً صريحاً، ولكنَّ الزرقاوي والدولة التي أنتجها [الدولة الإسلاميَّة] اتخذا الموقف الذي يجعل من الممكن للعديد من الأعمال الأخرى أن تُخرِج المسلم من الإسلام. وتشمل هذه الأعمال، في بعض الحالات، بيع الكحول أو المخدرات، وارتداء الملابس الغربيَّة أو حلق اللحية، والتصويت في الانتخابات ـ حتى لو كان التصويت لمرشح مسلم ـ ممَّا يُعدُّ تساهلاً في وصف الناس بالارتداد. أن تكون شيعياً، كما هو الحال بالنسبة إلى معظم عرب العراق، يعني أنَّك مرتد أيضاً، لأنَّ الدولة الإسلاميَّة تعتبر التشيُّع ابتداعاً، والابتداع في القرآن هو إنكار لكمال القرآن الأصلي. (تذهب الدولة الإسلاميَّة إلى أنَّ الممارسات الشيعيَّة العامة والصلاة في قبور الأئمة والجلد العلني لأنفسهم ليس له أيُّ أساس في القرآن أو في السيرة النبويَّة.) وهذا يعني أنَّ هناك 200 مليون شيعي عُرضة للموت. كذلك الحال بالنسبة إلى رؤساء الدول الإسلاميَّة، الذين أعطوا للقانون الوضعي أولويَّة على الشريعة الإسلاميَّة عن طريق ترشيح أنفسهم للمناصب أو تطبيق قانون لم يصدر من قِبَل الله.

6- theologically (يفضل المترجم ترجمتها بـ"من الناحية العقائديَّة" وليس "من الناحية اللاهوتيَّة،" على اعتبار أنَّ علم اللاهوت theology هو علم العقائد النصرانيَّة، ويقابله في الإسلام علم أصول الدين، وهو علم يبحث في العقائد الإسلاميَّة التي يوجد على رأسها "التوحيد".)

من منطلق عقيدة التكفير، أخذت الدولة الإسلاميَّة على نفسها عهداً بتطهير العالم عن طريق قتل أعداد كبيرة من الناس. إنَّ عدم وجود بيانات موضوعيَّة عن حدود إقليمها جعل من غير الممكن معرفة الحجم الحقيقي للمذابح التي ترتكبها، ولكن ما يُنشر على شبكات التواصل الاجتماعي من المناطق التي تسيطر عليها يشير إلى أنَّ عمليات الإعدام الفرديَّة تحدث بشكل مستمر على فترات تتراوح بين الزيادة والنقصان، فضلاً عن عمليات إعدام جماعيَّة كلّ بضعة أسابيع. المسلمون «المرتدُّون» هم الضحايا الأكثر شيوعاً. يُعفى من التنفيذ التلقائي لأحكام الإعدام، على ما يبدو، المسيحيون الذين لا يقاومون حكومتهم الجديدة [التي تتمثل في الدولة الإسلاميَّة]. يسمح البغدادي لهؤلاء المسيحيين بالعيش طالما أنَّهم يدفعون ضريبة خاصة تُعرَف بالجزية، ويعترفون بالخضوع للدولة الإسلاميَّة. المرتكزات القرآنيَّة لهذه الممارسة ليست محل خلاف.

لقد مرَّت قرون منذ توقف الحروب الدينيَّة في أوروبا، ومنذ توقف موت الناس بأعداد كبيرة بسبب نزاعات دينيَّة غامضة. وربَّما يفسّر ذلك استقبال الغربيين الأنباء المتعلقة بعقيدة وممارسات الدولة الإسلاميَّة بالتشكيك والرفض. رفض الكثيرون الاعتقاد بأنَّ هذه المجموعة تتَّسم بالورع كما تدَّعي، أو أنَّها تعود بالزمن للوراء أو تتنبأ بنهاية العالم كما تشير إلى ذلك أفعالها وتصريحاتها.

إنَّ شكوكهم مفهومة. الغربيون الذين اتهموا، سابقاً، المسلمين بأنَّهم يتبعون بلا وعي كتباً مقدَّسة قديمة يستحقون التعزية من الأكاديميين [على سوء تقديرهم للمسألة] ـ من أبرز هؤلاء الأكاديميين الراحل إدوارد سعيد ـ الذين ذهبوا إلى أنَّ وصف المسلمين بـ«القدماء» هو عادةً مجرَّد طريقة أخرى لتشويه صورتهم. انظر بدلاً من ذلك، هذا ما نبَّه إليه هؤلاء الأكاديميون، إلى الظروف التي نبتت فيها هذه الأيديولوجيات: الإدارة السياسيَّة السيئة، والعادات الاجتماعيَّة المتغيرة the shifting social mores، وذلّ المعيشة في بلاد تُقدَّر قيمتها فقط من أجل النفط.

دون الاعتراف بهذه العوامل، فإنَّ تفسير صعود الدولة الإسلاميَّة لا يمكن أن يكتمل. لكنَّ التركيز عليها بعيداً عن الأيديولوجيا يعكس نوعاً آخر من التحيز الغربي: لو أنَّ الأيديولوجيا الدينيَّة لا تمثل شيئاً مهماً في واشنطن وبرلين، فبالتأكيد لن يكون الأمر كذلك في الرّقة أو الموصل. عندما يقول السيَّاف الملثم «الله أكبر» عند قطعه لرأس مرتد، فإنَّه أحياناً يفعل ذلك لأسباب دينيَّة.

العديد من المنظمات الإسلاميَّة الرئيسة قد ذهبت إلى حدّ القول إنَّ الدولة الإسلاميَّة ليست إسلاميَّة في حقيقة الأمر. هذا، بالطبع، يرسّخ فكرة أنَّ الغالبيَّة العظمى من المسلمين ليست لديهم أيُّة رغبة في استبدال أفلام هوليوود بعمليات الإعدام العلنيَّة كنوع من الترفيه المسائي. ولكنَّ المسلمين الذين يصفون الدولة الإسلاميَّة بأنَّها ليست إسلاميَّة عادة ما يكونون، كما أخبرني برنارد هايكل Bernard Haykel الباحث بجامعة برينستون [Princeton University] والخبير البارز في الجماعات الدينيَّة، «مرتبكين وعلى

صواب من الناحية السياسيَّة، لديهم وجهة نظر عن دينهم تشبه غزل البنات[7] cotton-candy،'' وجهة نظر تهمل ''ما يتطلبه دينهم من الناحية التاريخيَّة والفقهيَّة''. يقول هايكل: إنَّ الكثيرين من الرافضين للطبيعة الدينيَّة للدولة الإسلاميَّة تمتدُّ جذورهم إلى ''التقليد المسيحي التافه الخاص بحوار الأديان''.

أيّ أكاديمي كنت أسأله عن أيديولوجيَّة الدولة الإسلاميَّة كان يرسلني إلى هايكل. هايكل له أصول لبنانيَّة، نشأ في لبنان والولايات المتحدة، وعندما يتحدث من خلال سكسوكته المفستوفيلية [نسبة إلى مفستوفيليس[8] mephistophilis]، يوجد في لسانه أثر لِلُكْنَة أجنبيَّة غريبة.

وفقاً لهايكل، فإنَّ صفوف الدولة الإسلاميَّة مفعمة بالحماس الديني، فالآيات القرآنيَّة منتشرة في كلّ مكان. يقول هايكل: ''حتى جنود المشاة، فإنَّهم يستفيضون في شرح معاني هذه الآيات باستمرار''. وأضاف: ''إنَّهم يتجهون صوب الكاميرات وهم يردّدون آراءهم الفقهيَّة الأساسية في نمط الزي التقليدي، إنَّهم يفعلون ذلك طوال الوقت''. ينظر هايكل إلى رأي مَنْ يقولون إنَّ الدولة الإسلاميَّة قد شوَّهت نصوص الإسلام باعتباره رأياً منافياً للعقل، فهذا أمر محتمل فقط من وجهة نظر ذوي الجهل الجامح. يقول هايكل: ''مَنْ يقولون ذلك يريدون تبرئة الإسلام''. وأضاف: ''الشعار المرفوع هو ''الإسلام دين السلام''. كما لو كان هناك، بالفعل، إسلامٌ بهذا المعنى! هذا هو ما يفعله المسلمون، والطريقة التي يفسّرون بها نصوصهم. ''فهذه النصوص يتقاسمها جميع المسلمين السُّنَّة، وليس الدولة الإسلامية فقط. ''وهؤلاء الأشخاص لديهم فقط قدر من الشرعيَّة مثل أيّ شخص آخر''.

يعترف جميع المسلمين بأنَّ أعمال غزوات [النبي] محمَّد المبكرة لم تكن منهجيَّة، وأنَّ قوانين الحرب التي تناقلتها الأجيال في النصوص القرآنيَّة والروايات المتعلقة بفترة حكم النبي قد تمَّ تحديدها لتتواءم مع أوقات الاضطراب والعنف. من وجهة نظر هايكل، فإنَّ مقاتلي الدولة الإسلاميَّة يمثلون المظهر الحقيقي للإسلام المبكر، ويستنسخون بأمانة معاييره الخاصَّة بالحرب. ويشتمل هذا السلوك على عدد من الممارسات التي يفضل المسلمون المحدثون عدم الاعتراف بها كجزء لا يتجزأ من نصوصهم المقدَّسة. يقول هايكل: ''الرق، والصلب crucifixion، والذبح ليست أشياء غريبة [على الإسلام]، الجهاديون يقطفون الكرز من تقاليد العصور الوسطى. ''مقاتلو الدولة الإسلاميَّة'' يمثلون نكهة من قلب تقاليد فترة العصور الوسطى، إنَّهم يحاولون إعادة هذه الفترة بالجملة مرَّة أخرى في وقتنا الحالي''.

7- يريد الكاتب بهذا التشبيه أن يقول إنَّ وجهة النظر هذه جذابة (أو حلوة) فقط في نظر أصحابها، لأنَّها لا تعكس الحقيقة؛ إنَّها وجهة النظر التي يرغبون فيها، ويريدون تسويقها للآخرين. فالكاتب يرى بهذا التشبيه أنَّ وجهة النظر الراديكاليَّة للإسلام لدى داعش هي وجهة النظر الحقيقيَّة للإسلام، وليس وجهة نظر مَنْ يرون أنَّ داعش ليست إسلاميَّة.

8- هو اسم الشخصيَّة التي تمثل الشيطان في المسرحيَّة التراجيديَّة «فاوست» للأديب العالمي الألماني جوته (1749- 1832). (المترجم).

لقد أدى فشلنا في تقدير الاختلافات الجوهريَّة بين داعش وتنظيم القاعدة إلى اتخاذ قرارات خطيرة.

ينصُّ القرآن على الصلب باعتباره إحدى العقوبات المسموح بتطبيقها على أعداء الإسلام. وجدت الضريبة على المسيحيين تأييداً واضحاً في سورة التوبة، السورة التاسعة من القرآن، التي تأمر المسلمين بمحاربة المسيحيين واليهود "حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون". النبي الذي ينظر إليه جميع المسلمين باعتباره مثالاً يُحتذى به، هو الذي فرض هذه القواعد، فضلاً عن امتلاكه للعبيد.

اعتبر قادة الدولة الإسلاميَّة محاكاة [النبي] محمَّد واجباً لا بُدَّ منه، فقد أعادوا التقاليد التي كانت نائمة منذ مئات السنين. يقول هايكل: "اللافت للنظر بشأن هؤلاء القادة ليس اعتمادهم التفسير الحرفي للنصوص، ولكن أيضا الجديَّة التي يقرؤون بها هذه النصوص". وأضاف: "إنَّهم يثابرون على الجديَّة إلى حدّ الهوس، تلك الجديَّة التي لا يمتلكها المسلمون عادة".

قبل صعود الدولة الإسلاميَّة، لم تكن هناك جماعة خلال القرون القليلة الماضية قد سعت إلى الإخلاص الراديكالي للنموذج النبوي أكثر من الوهابيين الذين ظهروا في القرن الثامن عشر في المملكة العربيَّة السعوديَّة. لقد غزا الوهابيون معظم ما يُسمَّى الآن المملكة العربيَّة السعوديَّة، وممارساتهم المتشدّدة قد بقيت هناك في شكل نسخة مخفَّفة للشريعة. يرى هايكل، على الرغم من ذلك، اختلافاً بين كلتا الجماعتين [الحركة الوهابيَّة وداعش]: "لم يكن الوهابيون مسرفين في عنفهم. "كانوا مُحاطين بالمسلمين، وقاموا بغزو الأراضي التي كانت إسلاميَّة بالفعل؛ هذا غَلَّ أيديهم.[9] ثمَّ أضاف: "على النقيض من ذلك، فإنَّ داعش تُحيي الفترة المبكرة [للإسلام]". كان المسلمون الأوائل مُحاطين بغير المسلمين؛ وكذلك الحال بالنسبة إلى الدولة الإسلاميَّة، فإنَّها، بسبب ميولها التكفيريَّة، تعتبر نفسها في الوضع نفسه.

حتى لو كان تنظيم القاعدة يريد إحياء الرّق، فإنَّه لم يُصرِّح بذلك أبداً. ولكن، لماذا لم يُصرِّح بذلك؟ ربما يعكس عدم التصريح بذلك تفكيراً استراتيجياً لديهم، مع أخذ التعاطف العام في الاعتبار. عندما بدأت الدولة الإسلاميَّة استرقاق الناس [بالفعل]، فإنَّ بعض مؤيديها أنفسهم رفضوا ذلك. على الرغم من ذلك، فإنَّ الخلافة [الدولة الإسلاميَّة] واصلت تبنِّيها للرقّ والصلب دون دفاع [أو تبرير]. "إنَّنا سوف نغزو روماكم، ونكسر صلبانكم، ونسبي نساءكم"، هكذا توعَّد العدناني، المتحدث باسم داعش، في إحدى رسائل الحبّ الدوريَّة التي يبعثها للغرب. وأضاف قائلاً: "إذا لم نصل إليها [أي روما] في ذلك الوقت، فسوف يصل إليها أبناؤنا وأحفادنا فيما بعد، وسوف يبيعون أبناءكم كعبيد في سوق النخاسة".

9- يقصد الكاتب أنَّ الوهابيين كانوا يعاملون المسلمين في البلاد التي قاموا بغزوها كمسلمين بالفعل، فلم يتعاملوا معهم ككفار على غرار داعش التي وسَّعت من نطاق التكفير حتى رمت المجتمعات الإسلاميَّة من حولها بالكفر، وبالتالي أطلقت يدها في قتل مواطني هذه المجتمعات.

في شهر أكتوبر [2014] نشرت دابق، مجلة الدولة الإسلاميَّة، مقالاً بعنوان: "إحياء الرّق قبل قيام الساعة"، ذلك المقال الذي تعرَّض لمسألة ما إذا كان الإيزيديون (أعضاء طائفة كرديَّة قديمة استعارت بعض مظاهر الإسلام، وقد تعرضوا لهجوم من قِبَل الدولة الإسلاميَّة في شمال العراق) مسلمين مرتدين، وبالتالي يحلُّ قتلهم، أم مجرَّد وثنيين، وبالتالي يُعتبرون هدفاً للاسترقاق. قامت مجموعة من طلبة العلم الشرعي في الدولة الإسلاميَّة، بناءً على أوامر حكوميَّة، ببحث هذه المسألة. إذا كان الإيزيديون وثنيين، فإنَّهم، كما كتب المؤلف المجهول للمقال، يتعين، وفقاً لأحكام الشريعة، توزيع النساء والأطفال الإيزيديين بين مقاتلي الدولة الإسلاميَّة الذين شاركوا في عمليات سنجار [في شمال العراق]. إنَّ سبي عائلات الكفار وأخذ نسائهم كإماء يمثل جانباً راسخاً من جوانب الشريعة التي إذا أنكرها أو سخر منها أحد، فإنَّه يكون قد أنكر وسخر من آيات القرآن وأحاديث النبي، وبالتالي يكون مرتدَّاً عن الإسلام.

ثانياً: الإقليم

يُعتقد أنَّ عشرات الآلاف من المسلمين قد هاجروا إلى الدولة الإسلاميَّة. مجندون جدد تدفقوا من فرنسا، والمملكة المتحدة، وبلجيكا، وألمانيا، وهولندا، وأستراليا، وأندونسيا، والولايات المتحدة، والعديد من الأماكن الأخرى. أتى كثيرون للقتال، والكثير يعتزمون الموت.

أخبرني بيتر آر نيومان Peter R. Neumann، وهو أستاذ في كليَّة كينغز بلندن King's College London، بأنَّ الأصوات على الإنترنت تمثل ضرورة لنشر الدعاية وضمان أنَّ الوافدين الجدد يعرفون ما يتعين عليهم الاعتقاد به. التجنيد عبر الإنترنت وسَّع أيضاً التركيبة السكانيَّة للمجتمع الجهادي، عن طريق السماح للمسلمات المحافظات ـ المعزولات جسدياً في منازلهنَّ ـ بالوصول إلى المجندين، وممارسة التطرُّف، وتدبير مسلك إلى سورية. تتطلع الدولة الإسلاميَّة، من خلال مناشداتها لكلا الجنسين، إلى بناء مجتمع متكامل.

في شهر نوفمبر [2014]، سافرتُ إلى أستراليا لكي أقابل موسى سيرانتونيو Musa Cerantonio، وهو رجل يبلغ من العمر 30 عاماً، عرَّفه نيومان وغيره من الباحثين باعتباره أحد أهمّ اثنين من "السُّلطات الروحية الجديدة" التي توجّه الأجانب للانضمام لصفوف الدولة الإسلاميَّة. كان سيرانتونيو، لمدة ثلاث سنوات، صاحب برنامج ديني تلفزيوني على قناة "اقرأ" الفضائية في القاهرة، ولكنَّه غادر المحطة بعد أن اعترضت القناة على دعواته المتكرّرة لإقامة دولة الخلافة. وهو الآن يعظ الناس على الفيسبوك وتويتر.

أخبرني سيرانتونيو ـ رجل ضخم ودود كثير الاطلاع ـ أنَّه يُبيِّض [أو يُشحِّب] عمليات الإعدام على شرائط الفيديو. إنَّه يكره رؤية العنف، على الرغم من أنَّ أنصار الدولة الإسلاميَّة مطالبون بإقراره. (لقد

عبَّر علناً، بشكل مثير للجدل بين المجاهدين، عن رفضه للتفجيرات الانتحاريَّة، على أساس أنَّ الله يُحرِّم الانتحار؛ إنَّه يختلف أيضاً مع الدولة الإسلاميَّة حول عدد قليل من النقاط الأخرى.) لسيرانتونيو لحية شعثاء، من ذلك النوع من اللِّحى التي نراها على وجوه بعض المشجعين الضِخام لرواية سيّد الخواتم[10] The Lord of the Rings، يبدو عليه بشكل واضح الهوس بفكرة نهاية العالم، تلك الفكرة الإسلاميَّة. فيما يبدو أنَّه يعيش خارج دراما تشبه، من وجهة نظر طرف خارجي، رواية خياليَّة من القرون الوسطى، الشيء الوحيد الحقيقي فيها هو الدم.

في يونيو الماضي، حاول سيرانتونيو وزوجته الهجرة، لم يذكر إلى أين (قال بحذر: «من غير القانوني أن أذهب إلى سورية»)، ولكن قُبض عليهما أثناء الرحلة في الفلبين، وتمَّ ترحيلهما إلى أستراليا بسبب انتهاء مدة صلاحيَّة تأشيرته. كانت أستراليا قد جرَّمت محاولات الانضمام أو السفر إلى الدولة الإسلاميَّة، وصادرت جواز سفر سيرانتونيو. إنَّه عالق في ملبورن Melbourne، حيث هو معروف جيداً للشرطة المحليَّة. إذا تمَّ القبض على سيرانتونيو وهو يسهّل انتقال الأفراد إلى الدولة الإسلاميَّة، فسوف يكون السجن مصيره. على الرغم من ذلك، فهو حتى الآن حر، أي مُنظَّر مستقل [غير مُنتمٍ لمنظَّمة أو جماعة] من الناحية الفنيَّة، يتحدث رغم ذلك مع الجهاديين الآخرين، ويُنظر إليه باعتباره صوتاً موثوقاً به بشأن المسائل العقائديَّة المتعلقة بالدولة الإسلاميَّة.

التقينا لتناول العشاء في فوتسكراي Footscray، وهي ضاحية في ملبورن تتسم بالكثافة السكانيَّة والتعدديَّة الثقافيَّة، وهي تمثل المقر الرئيس لـ»لونلي بلانيت» Lonely Planet، إحدى دور النشر العالميَّة لكتب وأدلة السفر. نشأ سيرانتونيو هناك في عائلة نصفها أيرلندي ونصفها الآخر كالابري Calabrian.[11] يمكن للمرء أن يجد في شارع تقليدي مطاعم أفريقيَّة، ومتاجر فيتناميَّة، وشباباً عرباً يتجوَّلون في هيئة سلفيَّة تتمثل في لحية هزيلة، وقميص طويل، وسراويل ينتهي طولها عند منتصف الرَبْلة [أو بطة الساق].

أوضح سيرانتونيو أنَّه شعر بالفرحة عندما أعلن البغدادي عن نفسه خليفة للمسلمين في 29 يونيو، والمفاجئ هو تأثير الجذب المغناطيسي الذي بدأت بلاد الرافدين[12] تمارسه عليه وعلى أصدقائه. قال سيرانتونيو لي: «كنت في فندق في الفلبين، ورأيت الإعلان في التليفزيون»، وأضاف قائلاً: «كنت فقط مندهشاً، وتساءلت: لماذا أنا عالق هنا في هذه الغرفة الدامية»؟

10- رواية خياليَّة ملحميَّة للكاتب البريطاني جي. آر. آر. تولكين J. R. R. Tolkien (1892- 1973). (المترجم).

11- نسبة إلى Calabria، وهو إقليم يقع أقصى جنوب إيطاليا. (المترجم).

12- منطقة تقع حالياً في العراق وشرق سورية ما بين نهري دجلة والفرات. (المترجم).

كان نظام الخلافة الأخير يتمثل في الإمبراطوريَّة العثمانيَّة التي بلغت ذروتها في القرن السادس عشر، ثمَّ شهدت تراجعاً طويلاً، حتى مجيء مؤسس الجمهوريَّة التركيَّة، مصطفى كمال أتاتورك، الذي أماتها موتاً رحيماً عام 1924. ولكنَّ سيرانتونيو، على غرار العديد من أنصار الدولة الإسلاميَّة، لم يعترف بالإمبراطوريَّة العثمانيَّة باعتبارها تمثل النظام الشرعي للخلافة، لأنَّها لم تطبّق بشكل كامل الشريعة الإسلاميَّة التي تتطلب الرجم، والرق، وقطع الأيدي، ولأنَّ خلفاءها لم ينحدروا من قبيلة النبي قريش.

تحدَّث البغدادي في خطبة الموصل حديثاً مطوَّلاً عن أهميَّة نظام الخلافة. قال إنَّ إحياء مؤسَّسة الخلافة ـ التي لم تكن سوى مجرَّد اسم لمدة 100 عام تقريباً ـ هو واجب مشترك. البغدادي والموالون له «سارعوا إلى إعلان الخلافة وتحديد إمام» يجلس على قمَّتها، هكذا قال سيرانتونيو. وأضاف قائلاً: «هذا واجب على المسلمين، واجب ضُيِّعَ لقرون، وقد أثم المسلمون بسبب ضياعه، لذا يجب عليهم دائماً أن يسعوا إلى إقامة الخلافة». على غرار ابن لادن، تحدَّث البغدادي بشكل معقد، مع التلميح الديني وسيطرة الخطاب الكلاسيكي. ولكن على خلاف ابن لادن، وأيضاً على خلاف خلفاء الإمبراطوريَّة العثمانيَّة الزائفين، فإنَّ البغدادي قرشي.

أخبرني سيرانتونيو بأنَّ الخلافة ليست فقط كياناً سياسياً، ولكنَّها أيضاً وسيلة للخلاص salvation. يعلن الجهاز الإعلامي للدولة الإسلاميَّة بشكل منتظم عن تدفق البيعات للدولة الإسلاميَّة من قِبَل الجماعات الجهاديَّة في كلّ أنحاء العالم الإسلامي. استشهد سيرانتونيو بقول النبي: إنَّ مَنْ مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهليَّة؛ وبالتالي مات ميتة الكفار. انظر كيفيَّة تخيل المسلمين (أو المسيحيين، فيما يتعلق بهذا الأمر) لطريقة تعامل الله مع أرواح الناس الذين يموتون دون أن يكتشفوا الدين الوحيد الصحيح. فهذه الأرواح لم يتضح بعد ما إذا كانت ستُنقَذ أم ستُدان بشكل نهائي. على المنوال نفسه، قال سيرانتونيو: إنَّ المسلم الذي يعترف بإله واحد كامل القدرة ويقيم الصلاة، ولكنَّه يموت دون أن يأخذ على نفسه عهداً بالبيعة لخليفة صالح وأن يتحمَّل التزامات ذلك العهد، يكون قد فشل في أن يحيا حياة إسلاميَّة على نحو كامل. لفتُّ انتباه [سيرانتونيو] إلى أنَّ ذلك يعني أنَّ الأغلبية العظمى من المسلمين في التاريخ، وجميع الذين وافتهم المنيَّة ما بين عامي 1924 و2014، قد ماتوا ميتة الكفر، أومأ سيرانتونيو برأسه بشدَّة، وأضاف: «أودُّ أن أذهب إلى حدّ القول إنَّه قد تمَّ إعادة تأسيس الإسلام» عن طريق الخلافة.

سألتُ سيرانتونيو عن بيعته، وبسرعة صحَّح لي قائلاً: «أنا لم أقل إنَّني قد بايعته». ذكَّرَني قائلاً إنَّه بموجب القانون الأسترالي، فإنَّ إعطاء البيعة للدولة الإسلاميَّة غير قانوني. وتابع قائلاً: «ولكنَّني أوافق على أنَّ البغدادي يستوفي الشروط [شروط الخلافة].» وأضاف: إنَّني فقط سوف أغمز لك، ولك أن تفسّرها كما تشاء».

لكي يكون الشخص خليفة، هناك شروط معينة بيَّنتها شريعة أهل السُّنَّة يتعين استيفاؤها: أن يكون الشخص رجلاً مسلماً بالغاً منحدراً من أصل قرشي، وأن تظهر عليه الاستقامة الأخلاقيَّة والسلامة الجسديَّة والعقليَّة، وأن يمتلك الأمر أو السُلطة. هذا الشرط الأخير، كما ذكر سيرانتونيو، هو الأصعب من حيث الوفاء به، وهو يتطلب أن يكون للخليفة إقليم يستطيع أن يطبق فيه الشريعة الإسلاميَّة. الدولة الإسلاميَّة، بزعامة البغدادي، كما ذكر سيرانتونيو، قد حققت ذلك [الشرط] بالفعل منذ فترة طويلة قبل 29 يونيو، وبمجرَّد أن حققت ذلك، بدأ أحد الرجال[13] الغربيين الذين تحوَّلوا إلى صفوف الجماعة ـ وصف سيرانتونيو هذا الرجل بأنَّه «زعيم نوعاً ما» ـ بدأ يتذَّمر بشأن الالتزام الديني بإعلان الخلافة. هذا الرجل وآخرون تحدَّثوا بهدوء إلى مَنْ هم في السُّلطة، وأخبروهم بأنَّ المزيد من التأخير [عن إعلان تنصيب خليفة للمسلمين] سوف يكون إثماً.

ما تبثه شبكات التواصل الاجتماعي من الدولة الإسلاميَّة يشير إلى أنَّ عمليات الإعدام تحدث بشكل مستمر على فترات تتراوح بين الزيادة والنقصان.

قال سيرانتونيو: نشأ فصيل كان مستعداً لشن الحرب على الجماعة التي يقودها البغدادي إذا تأخر أكثر من ذلك عن إعلان الخلافة. أعدَّ هذا الفصيل رسالة إلى مختلف الأعضاء الأقوياء، عبَّر فيها عن استيائه من الفشل في تنصيب خليفة، ولكن تمَّت تهدئتهم بواسطة العدناني، المتحدث باسم الجماعة، الذي أخبرهم بالسّر بأنَّه قد تمَّ بالفعل الإعلان عن تنصيب خليفة، وكان ذلك قبل وقت طويل من الإعلان العام. لقد أصبح هناك خليفة شرعي، وعند هذه النقطة كان هناك خيار واحد فقط؛ يتمثل هذا الخيار، كما ذكر سيرانتونيو «إذا كان الخليفة شرعياً، وجب إعطاء البيعة له».

بعد خطبة البغدادي في يوليو [2014] بدأ سيل من المجاهدين يتدفَّق يومياً إلى سورية بدافع متجدّد. ذكر يورغن تودينهوفر Jürgen Todenhöfer، مؤلف ألماني وسياسي سابق زار الدولة الإسلاميَّة في ديسمبر [2014]، أنَّ 100 مقاتل وصلوا إلى إحدى محطات التجنيد على الحدود التركيَّة خلال يومين فقط. ما ذكره يورغن، من بين أمور أخرى، يشير إلى تدفُّق مستمر للأجانب، إنَّهم مستعدُّون للتخلي عن كلّ شيء في الوطن من أجل القتال في أسوأ مكان على الأرض في سبيل الجنَّة.

في لندن، قبل أسبوع من ميعاد تناول وجبتي مع سيرانتونيو، قابلت ثلاثة أعضاء سابقين في جماعة إسلامية تُسمَّى «المهاجرين»، هم: أنجم تشوداري Anjem Choudary، وأبو البراء Abu Baraa، وعبد المهيد Abdul Muhid. لقد أعربوا جميعهم عن رغبتهم في الهجرة إلى الدولة الإسلاميَّة، كما هاجر بالفعل العديد من زملائهم، ولكنَّ السلطات صادرت جوازات سفرهم. على غرار سيرانتونيو، فإنَّهم يعتبرون الخلافة هي الشكل الوحيد للحكومة الصالحة [المبرَّرة أخلاقيًّا] على الأرض، رغم أنَّ أيًّا منهم لن يعترف

13- من الغريب جداً هنا أنَّ سيرانتونيو لم يذكر اسم هذا الرجل الغربي، والأغرب أنَّ كاتب المقال لم يسأل سيرانتونيو عن اسم هذا الرجل.

بالولاء لها. كان هدفهم الأساسي أثناء مقابلتي هو توضيح ما ترمز إليه الدولة الإسلاميَّة، وكيف تعكس سياساتها شريعة الله.

تشوداري، 48 عاماً، هو زعيم الجماعة [جماعة المهاجرين] السابق. كثيراً ما يظهر تشوداري على شاشات القنوات الإخباريَّة، باعتباره واحداً من الناشطين القلائل الذين يستطيعون الدعوة بشكل علني لتسجيل الراغبين في الدفاع عن الدولة الإسلاميَّة، حتى يصل الأمر إلى غلق الميكروفون عنه. مشهور في المملكة المتحدة كشخص متبجح بشكل مثير للاشمئزاز، لكنَّه وأتباعه يؤمنون بقوَّة بالدولة الإسلاميَّة ويتحدثون باسمها في المسائل المتعلقة بالعقيدة. تشوداري، وأبو البراء، وعبد المهيد يحتلون مكاناً بارزاً في تغريدات سكَّان الدولة الإسلاميَّة على تويتر، وقد دشَّن أبو البراء قناة على موقع يوتيوب للإجابة عن الأسئلة التي تدور حول الشريعة الإسلاميَّة.

منذ سبتمبر [2014]، والسُّلطات تحقق مع ثلاثة رجال للاشتباه في دعمهم للإرهاب. وبسبب هذا التحقيق، اضطروا لمقابلتي على انفراد، لأنَّ التواصل فيما بينهم سوف يُعدُّ انتهاكاً لشروط الإفراج عنهم بكفالة. ولكن أثناء الحديث معهم تشعر وكأنَّك تتحدَّث مع شخص واحد يرتدي أقنعة مختلفة. قابلني تشوداري في متجر للحلوى في شرق ضاحية إلفورد Ilford بلندن. كان يرتدي زيَّاً أنيقاً، عبارة عن سترة زرقاء متموّجة يصل طولها تقريباً إلى كاحليه، وكان يرتشف شراب ريد بول Red Bull أثناء تبادلنا الحديث.

قبل الخلافة[14] «كانت الشريعة غائبة عن حياتنا بنسبة 85% تقريباً»، هكذا أخبرني تشوداري. وأضاف قائلاً: «ظلت أحكام الشريعة معلقة حتى يكون لدينا خليفة»، «وقد صار لدينا الآن خليفة». بدون نظام الخلافة، على سبيل المثال، فإنَّ لجان الأمن الأهليَّة التي ينشئها الأفراد ليست مُلزَمة بقطع يد السارق الذي يمسكونه متلبساً. ولكن إنشاء الخلافة، وأحكام الشريعة، جنباً إلى جنب مع هيئة ضخمة لفقه آخر، لفتت الانتباه فجأة. نظرياً، فإنَّ جميع المسلمين مُلزَمون بالهجرة إلى إقليم الدولة الإسلاميَّة التي يُطبِّق فيها الخليفة هذه الأحكام. هرب من الشرطة أحد تلامذة تشوداري المقربين، وهو شخص تحوَّل من الهندوسيَّة إلى الإسلام، يُدْعى أبا رُميسة Abu Rumaysah، تتكون عائلته من خمسة أعضاء، وقد هرب في نوفمبر [2014] لإحضارها من لندن للهجرة إلى سورية. في اليوم الذي قابلت فيه تشوداري، رفع أبو رُميسة صورة له على تويتر وهو يحمل كلاشينكوف بإحدى يديه وابنه حديث الولادة باليد الأخرى. الوسم: GenerationKhilafah.

الخليفة مُطالب بتطبيق الشريعة، وأيّ انحراف منه عنها سوف يُجبِر مَنْ بايعوه على إخباره سراً بخطئه، بل وعزله واستبداله بغيره، في الحالات القصوى، إذا كابر وعاند. (قال البغدادي في خطبته: «لقد ابتُلِيتُ بهذا الأمر العظيم، ابتُلِيتُ بهذه المسؤولية، وإنَّها لمسؤوليَّة ثقيلة».) وفي المقابل، فإنَّ أوامر الخليفة

14- يقصد الكاتب بـ«الخلافة» هنا الدولة الإسلاميَّة بزعامة البغدادي.

واجبة الطاعة، وأولئك الذين يصرُّون على دعم الحكومات غير المسلمة، بعد تحذيرهم على النحو الواجب، وتوعيتهم بخطاياهم، يعتبرون مرتدّين.

قال تشوداري إنَّ الشريعة قد أُسيئ فَهمُها بسبب عدم القيام بتطبيقها الكامل من قِبَل الأنظمة السياسيَّة، مثل المملكة العربيَّة السعوديَّة، التي لم تضرب عنق القتلة وتقطع أيدي السارقين. «المشكلة»، كما أوضح تشوداري، «هي أنَّه عندما تقوم بلدان، مثل المملكة العربيَّة السعوديَّة بتطبيق الحدود فقط، دون توفير العدل الاجتماعي والاقتصادي الذي تتطلبه الشريعة ـ وفقاً لحزمة متكاملة من الإجراءات ـ فإنَّها ببساطة تولد الكراهية تجاه الشريعة». تتمثل هذه الإجراءات، كما ذكر تشوداري، في السكن المجاني، وتوفير الغذاء والكساء للجميع، ورغم ذلك تكون هناك فرصة لكلّ مَنْ يرغب في الثراء عن طريق العمل.

استمرَّ عبد المهيد، 32 عاماً، على المنوال نفسه. كان يرتدي زيًّا أنيقاً للمجاهدين عندما قابلته في مطعم محلي: لحية رثة غير مرتبة، يرتدي كاباً أفغانياً، ومحفظة خارج ملابسه، يعلَق بكتفه ما يشبه جراباً يوضع فيه مسدس. عندما جلسنا، كان حريصاً على مناقشة مسألة الرعاية الاجتماعيَّة. ربَّما يكون لدى الدولة الإسلاميَّة أسلوب للعقاب على الجرائم الأخلاقيَّة يعود للقرون الوسطى (الجلد لشارب الخمر والزاني غير المحصن، والرجم للزاني المحصن)، ولكنَّ برنامجها الخاص بالرعاية الاجتماعيَّة، على الأقلّ في بعض جوانبه، تقدمي إلى حدّ أنَّه يرضي خبراء محطة تلفزيون إم إس إن بي سي الإخباريَّة الأميريكيَّة MSNBC. كما ذكر أنَّ الرعايَّة الصحيَّة مجانيَّة. (سألته: «أليست مجانيَّة أيضاً في بريطانيا»؟ ردَّ قائلاً: «هذا غير صحيح في الواقع». وأضاف: «بعض الإجراءات لم تُراعَ، مثل الفطنة vision.» قال أيضاً: إنَّ توفير برنامج للرعاية الاجتماعيَّة ليس خياراً سياسياً للدولة الإسلاميَّة، ولكنَّه التزام سياسي متأصل في شريعة الله.

ثالثاً: نهاية العالم

كلُّ المسلمين يعترفون بأنَّ الله هو الوحيد الذي يعلم المستقبل. لكنَّهم يتفقون أيضاً على أنَّ الله قدَّم لنا نظرة خاطفة، في القرآن والأحاديث النبويَّة، عن ذلك المستقبل. تختلف الدولة الإسلاميَّة تقريباً عن أيَّة حركة جهاديَّة حاليَّة في الاعتقاد بأنَّ نهاية العالم مكتوبة في السيناريو الإلهي باعتبارها الشخصيَّة الرئيسة. قيام الدولة الإسلاميَّة بإعطاء هذا الدور لفكرة نهاية العالم [في السيناريو الإلهي] يجعلها تتفرَّد عن غيرها من الحركات الجهاديَّة بالجرأة، ويجعلها بالتالي أكثر وضوحاً فيما يتعلق بالطبيعة الدينيَّة لمهمتها.

دون الخوض في التفاصيل، فإنَّ تنظيم القاعدة يعمل كحركة سياسية سريَّة، تتبنَّى أهدافاً دنيويَّة تلوح في الأفق في كلّ الأوقات، على سبيل المثال: طرد غير المسلمين من شبه الجزيرة العربيَّة، هدم دولة إسرائيل،

وقف دعم الديكتاتوريات في بلاد المسلمين. الدولة الإسلاميَّة لديها نصيبها [أيضاً] من الشواغل الدنيويَّة (بما في ذلك في الأماكن التي تسيطر عليها، وجمع القمامة، والحفاظ على المياه المتدفقة)، ولكنَّ نهاية العالم هي الفكرة الرئيسة في حملتها الدعائيَّة. لم يُشرْ ابن لادن إلى نهاية العالم إلا نادراً، وعندما كان يشير إليها، كان يفترض أنَّه عندما تحين أخيراً تلك اللحظة المجيدة للقصاص الإلهي العادل، فإنَّه سيكون حينئذٍ ميتاً منذ وقت طويل. يقول ويل مكانتس Will McCants، باحث بمعهد بروكينغز Brookings Institution، الذي ألف كتاباً عن فكر الدولة الإسلاميَّة حول نهاية العالم: «ابن لادن والظواهري من عائلات سنيَّة نخبويَّة تزدري هذا النوع من التفكير [أو التنظير]، وتعتقد أنَّ العامَّة وحدها هي التي تنخرط فيه».

على النقيض من ذلك، رأى الآباء المؤسسون المباشرون للدولة الإسلاميَّة، خلال السنوات الأخيرة من الاحتلال الأمريكي للعراق، علامات آخر الزمان في كلّ مكان. إنَّهم كانوا يتوقعون، في غضون عام، وصول المهدي [المنتظر]، المُخَلِّص الذي سيجيء لقيادة المسلمين إلى النصر قبل نهاية العالم. يقول مكانتس: إنَّ إسلاميَّاً بارزاً في العراق تحدَّث إلى ابن لادن في 2008 محذّراً إيَّاه من جماعة يقودها الألفيون الذين «يتحدَّثون طوال الوقت عن المهدي وعن اتخاذ قرارات استراتيجيَّة» في هذا الصدد، إنَّهم يعتقدون أنَّ المهدي على وشك المجيء. وأضاف مكانتس: «تنظيم القاعدة اضطرَّ للكتابة لهؤلاء القادة ليقول لهم: «أوقفوا ذلك».

بالنسبة إلى تصوُّرات بعض المؤمنين الحقيقيين ـ ذلك النوع من الناس الذي يتوق إلى المعارك الملحميَّة للخير ضدَّ الشر ـ عن حمَّامات الدم المروعة، فإنَّ هذه التصوُّرات تلبّي حاجة نفسيَّة عميقة [لديهم]. قابلت الأسترالي موسى سيرانتونيو من أنصار الدولة الإسلاميَّة، وقد أعرب عن أعمق الاهتمام بفكرة نهاية العالم، وكيف أنَّ الأيام المتبقية للدولة الإسلاميَّة ـ وللعالم ـ قد تشهدها. أجزاء من هذا التنبؤ تمثّل أشياء أساسيَّة بالنسبة إليه، وليس لها وضع عقائدي حتى الآن. ولكنَّ الأجزاء الأخرى [التي لها وضع عقائدي] ترتكز على مصادر التيار السنّي الرئيس، وتظهر في كلّ الحملات الدعائيَّة للدولة الإسلاميَّة. وتشتمل هذه الأجزاء على الاعتقاد في أنَّه سيكون هناك 12 خليفة شرعيَّاً فقط، وأنَّ البغدادي هو الخليفة الثامن، والاعتقاد أيضاً في أنَّ جيوش الروم سوف تحتشد لتقابل جيوش الإسلام في شمال سورية، وأنَّ مواجهة الإسلام الحاسمة مع المسيح الدجَّال سوف تحدث في القدس بعد فترة من تجدُّد الفتح الإسلامي.

أولت الدولة الإسلاميَّة أهميَّة كبيرة لمدينة دابق السوريَّة، التي تقع بالقرب من حلب. أطلقت الدولة الإسلاميَّة على مجلتها الدعائيَّة اسم هذه المدينة [مجلة دابق]، واحتفلت بشكل جنوني عندما احتلت (بتكلفة كبيرة) سهول دابق غير الهامَّة من الناحية الاستراتيجيَّة. فمدينة دابق هي المكان الذي سوف تعسكر فيه

جيوش الروم كما أخبر النبي. ففي هذا المكان سوف تقابل جيوش الإسلام جيوش الروم، وستكون دابق واترلو[15] Waterloo روما أو أنتيتام[16] Antietam لها.

كتب أحد أنصار الدولة الإسلاميَّة تغريده على حسابه في تويتر يقول فيها: «دابق كلها أساساً أرض زراعيَّة.» وأضاف: «يمكن لك أن تتصوَّر معارك كبرى تقع هناك». يسيل لعاب المروّجين للدولة الإسلاميَّة بمجرَّد تذكُّر هذا الحدث، ويفترضون دائماً أنَّه سيأتي قريباً. نقلت مجلة الدولة الإسلاميَّة قول الزرقاوي: «إنَّ الشرارة الأولى قد اندلعت هنا في العراق، وستتعاظم نارها حتى تحرق الجيوش الصليبيَّة في دابق». يُظهِر فيديو دعائي حديث مقاطع من أفلام حرب هوليوود في فترات تعود إلى العصور الوسطى، ربَّما لأنَّ العديد من النبوءات توضح أنَّ الجيوش ستعود لامتطاء الخيول في الحرب أو استخدام الأسلحة القديمة.

الآن يتَّضح سبب استيلاء الدولة الإسلاميَّة على دابق، فالدولة الإسلاميَّة في انتظار وصول جيش العدو إلى هذا المكان، ذلك الجيش الذي ستكون هزيمته هي بداية العدّ التنازلي لنهاية العالم. غالباً ما تغيب عن الإعلام الغربي الإشارات الخاصَّة بدابق في فيديوهات الدولة الإسلاميَّة، والتركيز بدلاً من ذلك على مشاهد الذبح المرعبة. «ها نحن ندفن أول صليبي أمريكي في دابق، فنحن ننتظر بفارغ الصبر وصول بقية جيوشكم». هذا ما قاله سيَّاف ملثم في فيديو نُشر في نوفمبر [2014 على الإنترنت]، تظهر فيه الرأس المقطوعة لـ«بيتر» (عبد الرحمن) كاسيغ[17] (Abdul Rahman) Kassig، موظف الإغاثة الذي تمَّ احتجازه لمدَّة تزيد عن العام. أثناء المعارك في العراق في شهر ديسمبر [2014]، بعد أن رفع المجاهدون (ربَّما على نحو غير دقيق) تقريراً بأنَّهم رأوا جنوداً أمريكيين في المعارك، أطلقت حسابات الدولة الإسلاميَّة على تويتر رسائل إلكترونيَّة مزعجة [غير مرغوب فيها] spasms تعبّر عن سعادة غامرة، سعادة تشبه السعادة التي يشعر بها مضيفون أو مضيفات متحمّسون بشكل زائد عند وصول أوَّل ضيف إلى الحفلة.

الحديث النبوي الذي يتنبَّأ بمعركة دابق يشير إلى روما باعتبارها العدو. ما تعنيه "روما" ما زال محلَّ نقاش، فالبابا الآن ليس لديه جيش. لكنَّ سيرانتونيو يذهب إلى أنَّ روما تعني الإمبراطوريَّة الرومانيَّة الشرقيَّة، التي كانت عاصمتها تتمثل فيما يُسمَّى الآن باسطنبول. ينبغي أن نرى روما مثلما نرى جمهوريَّة تركيا the Republic of Turkey الجمهورية نفسها التي قضت على آخر نظام كان يعتبر نفسه نموذجاً

15- هي آخر معارك القائد الفرنسي نابليون بونابرت التي مُني فيها بهزيمة ساحقة أمام بريطانيا وألمانيا عام 1815 في واترلو التي تقع حالياً في بلجيكا، على بُعد حوالي 15 كم جنوب العاصمة بروكسل. (المترجم).

16- معركة قامت بالقرب من شاربسبيرغ Sharpsburg بولاية ميريلاند Maryland. وهي أول معركة كبرى، عام 1862، في الحرب الأهليَّة الأميركيَّة التي بدأت بإعلان إحدى عشرة ولاية من الجنوب انفصالها عن الولايات المتحدة الأميركيَّة لتأسيس اتحاد فيما بينها. وقد أدَّى ذلك إلى إثارة غضب الرئيس الأميركي حينذاك، أبراهام لينكولن، الذي اعتبر ذلك تمرداً. دخل لينكولن مع هذا الاتحاد في سلسلة من المعارك استمرَّت من 1862 إلى 1865. انتهت هذه المعارك باستسلام جيش اتحاد الولايات الجنوبيَّة أمام جيش الولايات المتحدة، وبالتالي فشل هذه الحركة الانفصاليَّة. (المترجم).

17- هو جندي أمريكي سابق، حارب في العراق، وبعد أن ترك الخدمة في الجيش الأمريكي تفرَّغ للعمل التطوعي. اعتنق الإسلام واتخذ لنفسه اسم عبد الرحمن. تمَّ اختطافه أثناء قيامه بمساعدات إنسانيَّة في المناطق المنكوبة بسورية. (المترجم).

للخلافة منذ تسعين عاماً. تشير مصادر الدولة الإسلاميَّة الأخرى إلى أنَّ روما قد تعني أيَّ جيش كافر، وسوف ينطبق ذلك على الأمريكيين بشكل جيّد.

بعد أن رفع المجاهدون (ربما على نحو غير دقيق) تقريراً بأنَّهم رأوا جنوداً أمريكيين في المعارك، أطلقت حسابات الدولة الإسلاميَّة على تويتر رسائل إلكترونيَّة مزعجة [غير مرغوب فيها] spasms تعبِّر عن سعادة غامرة، سعادة تشبه السعادة التي يشعر بها مضيفون أو مضيفات متحمّسون بشكل زائد عند وصول أوَّل ضيف إلى الحفلة.

كما ذكر سيرانتونيو، بعد معركة الدولة الإسلاميَّة في دابق، فإنَّ الخلافة سوف تمتدُّ وسيتمُّ تدمير اسطنبول. البعض يعتقد أنَّ الخلافة سوف تمتدُّ لتشمل الأرض بأكملها، ولكنَّ سيرانتونيو ذهب إلى أنَّ هذا الامتداد قد لا يصل إلى ما وراء مضيق البوسفور. ولكنَّ عدو المسيح anti-Messiah، المعروف بالدجَّال في الأدب الإسلامي الذي يتعرَّض لفكرة نهاية العالم، سوف يجيء من منطقة خراسان في شرق إيران ويقتل عدداً كبيراً من مقاتلي دولة الخلافة، بحيث لا يبقى سوى 5000 مقاتل، محاصرين في القدس. وبمجرَّد أن يستعدَّ الدجَّال للقضاء عليهم، سوف يعود المسيح ـ ثاني أكبر الأنبياء تبجيلاً في الإسلام ـ إلى الأرض، ويقتل الدجَّال طعناً بحربة، ثم يقود المسلمين إلى النصر.

يذهب سيرانتونيو إلى أنَّ "الله وحده أعلم" بما إذا كانت هذه النبوءة تختصُّ بجيوش الدولة الإسلاميَّة أم لا. لكنَّه أعرب عن أمله في ذلك. قال سيرانتونيو: "قال النبي إنَّ علامة اقتراب نهاية الزمان أنَّ الناس سيتوقفون لفترة طويلة عن الحديث عن نهاية الزمان". وأضاف: "إذا ذهبت إلى المساجد الآن فسوف تجد الدعاة ساكتين عن هذا الموضوع". وفقاً لهذه النظريَّة، فحتَّى النكسات التي لحقت بالدولة الإسلاميَّة لا تعني شيئاً، لأنَّ الله قدَّر مسبقاً نهاية العالم الوشيكة بأيَّة طريقة كانت. الدولة الإسلاميَّة لديها أفضل وأسوأ أيامها قبل تلك اللحظة.

رابعاً: الحرب

يمتلك الوضوح [أو الصفاء] الأيديولوجي للدولة الإسلاميَّة فضيلة تعويضيَّة compensating virtue: لقد سمحت هذه الأيديولوجيا لنا بالتنبؤ ببعض أفعال الجماعة. كان من النادر أن نتنبأ بشيء عن تصرفات أسامة بن لادن. لقد أنهى أول مقابلة تلفزيونيَّة له بشكل غامض. سأله مراسل شبكة تلفزيون CNN بيتر آرنيت Peter Arnett: "ما هي خططك المستقبليَّة"؟ أجاب ابن لادن: "سوف تراها وتسمع عنها في الإعلام، إن شاء الله". على النقيض من ذلك، فإنَّ الدولة الإسلاميَّة تفتخر علنا بخططها، ليس جميعها، ولكن ما يكفي منها، بحيث يمكننا عن طريق الاستماع بعناية أن نستنتج نواياها فيما يتعلق بالحكم والتوسع.

في لندن، قدَّم تشوداري وتلاميذه وصفاً تفصيلياً للكيفيَّة التي يجب أن تدير بها الدولة الإسلاميَّة سياساتها الخارجيَّة، إنَّها الآن [سياسة] الخلافة الإسلاميَّة. لقد شرعت الدولة الإسلاميَّة بالفعل فيما يُشار إليه في الشريعة الإسلاميَّة بـ"الجهاد الهجومي"، أي التوسُّع القسري في البلدان التي يحكمها غير المسلمين. قال تشوداري: "حتى ذلك الوقت، فإنَّنا كنا فقط ندافع عن أنفسنا"، فبدون خلافة يصبح الجهاد الهجومي مفهوماً غير قابل للتطبيق. لكنَّ شن الحرب لتوسيع الخلافة هو الواجب الأساسي للخليفة.

حاول تشوداري جاهداً أن يعرض قواعد الحرب التي تعمل الدولة الإسلاميَّة في ظلها باعتبارها سياسات رحمة لا وحشيَّة. أخبرني تشوداري بأنَّ الدولة الإسلاميَّة عليها التزام بإرهاب أعدائها، إنَّه أمر مقدَّس لتخويف الغائط الذي يخرج من بطونهم عن طريق الذبح والصلب وسبي النساء والأطفال، لأنَّ القيام بذلك يُعَجِّل بالنصر، وبالتالي تجنُّب الصراع الطويل الأمد.

أوضح أبو البراء رفيق تشوداري أنَّ الشريعة الإسلامية تسمح فقط بمعاهدات السلام المؤقتة، التي لا تتجاوز عشر سنوات. وبالمثل، فإنَّ الاعتراف بأيّ حدود [سياسيَّة] مُحَرَّم شرعاً، كما جاء على لسان النبي، وتردَّد في الفيديوهات الدعائيَّة للدولة الإسلاميَّة. لو أنَّ الخليفة وافق على سلام طويل الأجل أو حدود دائمة فإنَّه سيكون مخطئاً. معاهدات السلام المؤقتة قابلة للتجديد، ولكن لا يمكن تطبيقها على جميع الأعداء في وقت واحد، يجب على الخليفة إعلان الجهاد مرَّة واحدة في العام على الأقل. فلا يجوز له أن يستريح، وإلا وقع في حبائل الإثم.

الدولة الإسلاميَّة تشبه الخمير الحمر الذين قتلوا ثلث سكان كمبوديا تقريباً. ولكنَّ الخمير الحمر احتلوا مقعد كمبوديا في الأمم المتحدة. قال أبو البراء: "هذا أمر غير مسموح به". وأضاف قائلاً: "إرسال سفير للأمم المتحدة يمثل اعترافاً بسُلطة أخرى غير سُلطة الله". فأبو البراء يرى أنَّ هذا النوع من الدبلوماسيَّة يُعدُّ شِركاً، ولجوء البغدادي إلى هذه الدبلوماسيَّة سيكون سبباً مباشراً لاعتباره منشقاً عن الإسلام، وبالتالي استبداله. فحتى اللجوء للوسائل الديمقراطيَّة للتعجيل بقيام الخلافة ـ على سبيل المثال عن طريق التصويت للمرشحين السياسيين المؤيدين للخلافة ــ يُعدُّ شِركاً.

من الصعب أن نجزم بحجم الضعف [أو الوهن] الذي ستتعرَّض له الدولة الإسلامية بسبب تطرفها. يعتمد النظام الدولي الحديث، الذي بدأ بصلح وستفاليا[18] Peace of Westphalia عام 1648، على رغبة كلّ دولة في الاعتراف بالحدود، حتى وإن كان ذلك على مضض. بالنسبة إلى الدولة الإسلاميَّة، فإنَّ

18- هو اسم يُطلق على معاهدتي السلام اللتين وُقِّعتا في وستفاليا بين أبناء الكنيستين الكاثوليكيَّة والبروتستانتيَّة عام 1648. عقب هاتين المعاهدتين انبثق نظام الدول القوميَّة الحديث الذي يقوم على مبدأ سيادة الدول، ذلك المبدأ الذي وفقاً له يكون من حق كلّ دولة عدم الانصياع لأيَّة قوة أو سلطة خارجيَّة، بما في ذلك سلطة الكنيسة، إلا بإرادتها. فولاء الشعوب بمقتضى هاتين المعاهدتين يجب أن يكون للدولة وليس للكنيسة. وبذلك كان صلح وستفاليا بداية لوقف الصراع الديني والاعتراف بالبروتستانتيَّة إلى جانب الكاثوليكيَّة.

الاعتراف بالحدود يمثل انتحاراً أيديولوجياً. استسلمت الجماعات الإسلاميَّة الأخرى، مثل الإخوان المسلمين وحماس، لإغراءات الديمقراطيَّة وإمكانية دعوتهم للانضمام إلى المجتمع الدولي، بحيث يمكنهم الوصول في النهاية إلى مقعد في الأمم المتحدة. لجأت طالبان أيضاً للتفاوض والتكيُّف في بعض الأحيان. (في ظلّ حكم طالبان، تبادلت أفغانستان السفراء مع المملكة العربيَّة السعوديَّة، وباكستان، والإمارات العربيَّة المتحدة، وهو ما جعل سُلطة طالبان غير شرعية في عيون الدولة الإسلاميَّة.) بالنسبة إلى الدولة الإسلاميَّة، فإنَّ القيام بهذه الأعمال ليس أمراً اختيارياً، فهذه الأعمال كلها تمثل أعمال رِدَّة acts of apostasy.

كان ردّ فعل الولايات المتحدة وحلفائها إزاء الدولة الإسلاميَّة متأخراً وغير متزن بشكل واضح. إنَّ طموحات الجماعة وخططها الاستراتيجيَّة العنيفة كانت واضحة في تصريحاتها وأحاديثها على شبكات التواصل الاجتماعي في فترة تعود إلى 2011، عندما كانت مجرَّد واحدة من بين العديد من الجماعات الإرهابيَّة في سورية والعراق، حيث لم تكن قد ارتكبت أيَّة فظائع جماعيَّة بعد. أخبر العدناني، المتحدث باسم الجماعة، أتباع الدولة الإسلاميَّة حينذاك بأنَّ طموح الجماعة هو "استعادة زمن الخلافة الإسلاميَّة"، ونفخ الحياة في فكرة نهاية العالم، قائلاً في هذا الصدد: "لم يفصل بيننا وبينها [أي نهاية العالم] سوى أيام قليلة". كان البغدادي قد نَصَّب نفسه بالفعل "أميراً للمؤمنين" ـ لقب يُطلَق عادة على الخلفاء ـ في عام 2011. في أبريل 2013 أعلن العدناني أنَّ الحركة "مستعدَّة لإعادة رسم العالم وفقاً للمنهج النبوي للخلافة". في أغسطس عام 2013 قال العدناني: "هدفنا هو إقامة دولة إسلاميَّة لا تعترف بالحدود، دولة تقوم على المنهج النبوي". في ذلك الحين، كانت الجماعة قد استولت بالفعل على الرقة، وهي عاصمة إقليميَّة سورية يبلغ عدد سكانها حوالي 500.000 نسمة، واجتذبت أعداداً كبيرة من المقاتلين الأجانب الذين استمعوا لرسالتها.

لو أنَّنا حدَّدنا نوايا الدولة الإسلاميَّة مبكّراً، وأدركنا أنَّ الفراغ الموجود في سورية والعراق سوف يعطي مساحة كافية للدولة الإسلاميَّة لتحقيق هذه النوايا، لدفعنا، على الأقل، العراق إلى تقوية حدودها مع سورية وعقدنا صفقات استباقيَّة مع الطائفة السنيَّة في العراق. إنَّ ذلك، على الأقل، كان سيحبط تأثير الدعاية المثيرة التي تسبَّب فيها إعلان تنصيب [البغدادي] خليفة للمسلمين فور غزو ثالث أكبر مدينة في العراق. فوق ذلك، قبل ما يزيد قليلاً عن العام، صرَّح أوباما لمجلة نيويوركر The New Yorker بأنَّه يعتبر داعش الشريك الأضعف لتنظيم القاعدة. قال أوباما: "لو أنَّ فريق كرة سلة للناشئين يرتدي زي فريق لوس أنجلوس ليكرز [Los Angeles Lakers] لكرة السلة، فإنَّ ذلك لن يجعل منهم كوبي برانيت".[19]

لقد أدى فَشَلُنا في تقدير الصدع الموجود بين الدولة الإسلاميَّة وتنظيم القاعدة، والاختلافات الجوهريَّة بين الاثنين، إلى اتخاذ قرارات خطيرة. لنأخذ مثالاً واحداً، في الخريف الماضي وافقت الحكومة على خطة

19- لاعب كرة سلة أميريكي مشهور في فريق لوس أنجلوس ليكرز. (المترجم).

يائسة لإنقاذ حياة بيتر كاسيغ. لقد سهلت الخطة ـ وهذا كان مطلوب فعلاً ـ التفاعل بين بعض الشخصيات المؤسِّسَة للدولة الإسلامية وتنظيم القاعدة، وكان من الصعب أن تبدو هذه الخطة مُرتجلة على نحو سريع.

بناءً على كلّ ما نعرفه عن الدولة الإسلاميَّة، فإنَّ الاستمرار في استنزافها ببطء يبدو أفضل من الخيارات العسكريَّة السيئة.

كان ذلك يستلزم تجنيد "أبي محمَّد المقدسي"، أستاذ الزرقاوي والمرشد الروحي لتنظيم القاعدة، ليقترب من تركي البنعلي Turki al-Binali، المُنَظِّر الأوَّل للدولة الإسلاميَّة والتلميذ السابق للمقدسي، على الرغم من أنَّ الرجلين قد اختلفا بسبب انتقادات المقدسي للدولة الإسلاميَّة. دعا المقدسي بالفعل الدولة الإسلاميَّة للعفو عن ألان هيننغ Alan Henning، وهو سائق تاكسي أجرة بريطاني دخل سورية لتقديم مساعدات للأطفال. في شهر ديسمبر، ذكرت صحيفة الجارديان أنَّ حكومة الولايات المتحدة قد طلبت، عن طريق وسيط، من المقدسي التوسُّط لدى الدولة الإسلاميَّة لصالح كاسيغ.

كان المقدسي يعيش بحريَّة في الأردن، ولكن تمَّ منعه من التواصل مع الإرهابيين في الخارج، وكانت مراقبته تتمُّ عن كثب. بعد أن منحت الأردن إذناً للولايات المتحدة باستخدام المقدسي كوسيط للاتصال ببنعلي، اشترى المقدسي هاتفاً بمال أميريكي وتمَّ السماح له بأن يتصل بتلميذه السابق لبضعة أيام. ولكنَّ الحكومة الأردنيَّة قامت بوقف المحادثات بينهما واستخدمتها كذريعة لحبس المقدسي. ظهرت رأس كاسيغ مقطوعة في فيديو، تمَّ تصويره في دابق، على تويتر بعد بضعة أيام.

تعرَّض المقدسي لسخرية لاذعة من قِبَل المتحمّسين للدولة الإسلاميَّة، كما تعرَّضت القاعدة للازدراء بعد رفضها الاعتراف بالخلافة. قرأ كول بينزل Cole Bunzel، وهو باحثٌ درسَ أيديولوجيَّة الدولة الإسلاميَّة، رأي المقدسي بشأن حالة هيننغ، فتوصل إلى أنَّ هذا الرأي سيعجّل من موت هيننغ وغيره من الأسرى. أخبرني كول: "لو أنَّني وقعت أسيراً في يد الدولة الإسلاميَّة وقال المقدسي إنَّه ينبغي ألا أُقتل، لاستعدَّيت لتلقي حتفي".

كان موت كاسيغ مأساة، ولكنَّ نجاح الخطة [التي أُعدَّت لتخليصه] كانت مأساة أكبر. لقد كان التصالح بين المقدسي وبنعلي بداية لرأب الصدع بين اثنين من أكبر التنظيمات الجهاديَّة في العالم. من الجائز أن نقول إنَّ الحكومة فقط أرادت جرَّ بنعلي لأغراض استخباراتيَّة أو للاغتيال. (كانت هناك محاولات عديدة ناجحة لانتزاع تعليق من مكتب التحقيقات الفيدرالي.) مهما يكن، فإنَّ قرار لعب دور الوسيط الذي يسعى للمّ شمل أهمّ خصمين إرهابيين لأمريكا يكشف عن بصيرة فقيرة بشكل مدهش.

نظراً للقصور السابق الذي حدث بسبب لامبالاتنا، فإنَّنا نواجه الآن الدولة الإسلاميَّة عن طريق وكيل كردي وعراقي في ساحة المعركة، وعن طريق هجمات جويَّة منتظمة. هذه الاستراتيجيات لم تُزِح الدولة الإسلاميَّة عن أيٍّ من ممتلكاتها الإقليميَّة الكبرى، ولكنَّها منعتها من الهجوم المباشر على بغداد وأربيل ومن ذبح الشيعة والأكراد هناك.

دعا بعض المراقبين للتصعيد، بما في ذلك العديد من الأصوات المتوقَّعة من المنادين بحق التدخل (ماكس بوت Max Boot، وفريدريك كاغان Frederick Kagan)، الذين حثوا على نشر عشرات الآلاف من الجنود الأمريكيين. لا ينبغي رفض هذه الدعوات على نحو أسرع ممَّا ينبغي: منظمة إبادة جماعيَّة باعتراف الجميع على مشارف ضحاياها المحتملين، فضلاً عن ارتكابها لفظائع يوميَّة في الإقليم الذي تسيطر عليه بالفعل.

الطريقة الوحيدة للتخلص من تأثير سحر الدولة الإسلاميَّة على أتباعها هو التغلب على هذه الدولة عسكرياً واحتلال الأجزاء التي توجد الآن تحت حكم الخلافة. من المتعذّر استئصال تنظيم القاعدة لأنَّه يستطيع النجاة، مثل الصرصور، عن طريق العمل بشكل سرّي. أمَّا الدولة الإسلاميَّة، فإنَّها لا تستطيع ذلك. لو فقدت الدولة الإسلامية سيطرتها على إقليمها في سورية والعراق، فإنَّها سوف تتوقف عن كونها خلافة. فالخلافة لا تستطيع أن توجد كحركة سريَّة، لأنَّ السُّلطة الإقليميَّة شرط من شروطها: فليتمّ انتزاع سُلطتها على الإقليم، وسوف يكون كلّ مَنْ يلتزمون بالولاء لها في حلٍّ من هذا الالتزام. بالطبع ستستمرُّ عمليات تنفيذ التعهدات السابقة بالهجوم على الغرب وقطع رؤوس أعداء قيام الخلافة الإسلاميَّة، ولكن بشكل فردي. غير أنَّ تأثير الدعاية لقيام دولة الخلافة سوف يختفي، وبالتالي سوف يختفي الواجب الديني المزعوم بشأن الهجرة إلى إقليم هذه الدولة من أجل خدمتها. لو تحرَّكت الولايات المتحدة للغزو، فإنَّ هوس الدولة الإسلاميَّة بالمعركة الحاسمة في دابق يعني أنَّها قد تُرسِل موارد هائلة إلى هناك، كما لو كانت في معركة تقليديَّة. لو احتشد كلُّ أنصار الدولة الإسلاميَّة في دابق بكامل قوتهم، فإنَّه بمجرَّد دحرهم، ربَّما لا تستعيد الدولة الإسلاميَّة عافيتها مرَّة أخرى أبداً.

ولكنَّ مخاطر التصعيد [مع الدولة الإسلاميَّة] هائلة. إنَّ أكبر أنصار فكرة غزو أميركا [للدولة الإسلاميَّة] هي الدولة الإسلاميَّة نفسها. الفيديوهات الاستفزازيَّة التي يخاطب فيها السيَّاف الملثم بقناع أسود الرئيس أوباما بالاسم، ما هي إلا محاولة لجرّ أمريكا للحرب. إنَّ أيَّ غزو [للدولة الإسلاميَّة] سيكون انتصاراً دعائياً ضخماً للجهاديين في كلّ أنحاء العالم: بغضّ النظر عمَّا إذا كان جميع المسلمين قد أعطوا البيعة للخليفة [البغدادي] أم لا، فإنَّهم جميعاً يعتقدون أنَّ الولايات المتحدة تريد الشروع في حملة صليبيَّة معاصرة تقتل فيها المسلمين، وبالتالي فأيّ غزو أو احتلال آخر سوف يؤكد هذا الشك، ويعزّز التجنيد [في صفوف

الدولة الإسلاميَّة]. أضف إلى ذلك عجز جهودنا السابقة كمحتلين as occupiers، وهكذا يكون لدينا مبرّر للإحجام. على كلّ حال، فإنَّ صعود داعش قد حدث فقط لأنَّ احتلالنا السابق قد خلق مساحة للزرقاوي وأتباعه. مَنْ ذا الذي يستطيع أن يعرف عواقب مهمَّة أخرى قد تفشل أيضاً؟

بناءً على كلّ ما لدينا من معلومات عن الدولة الإسلاميَّة، فإنَّ الاستمرار في استنزافها ببطء، عن طريق الضربات الجويَّة والحرب بالوكالة، يبدو أفضل من الخيارات العسكريَّة السيئة. لن يستطيع الأكراد أو الشيعة أبداً إخضاع وتوجيه معاقل السُّنَّة بأكملها في سورية والعراق ـ إنَّهم مكروهون هناك، وليس لديهم رغبة في مثل هذه المغامرة على أيَّة حال ـ لكنَّهم يستطيعون منع الدولة الإسلاميَّة من القيام بالتوسُّع الذي تعتبره واجباً [دينياً] عليها. ومع كلّ شهر تفشل فيه الدولة الإسلاميَّة في التوسع، فإنَّها ستكون أقلَّ شبهاً بدولة الغزو التي قادها النبي محمَّد، في حين أنَّها ستكون أكثر شبهاً بحكومة من حكومات الشرق الأوسط التي تفشل في تحقيق الرخاء لشعبها.

الخسائر الإنسانيَّة الناجمة عن وجود الدولة الإسلاميَّة مرتفعة. ولكنَّ تهديد الدولة الإسلاميَّة للولايات المتحدة أصغر من الخطر الذي يمكن أن ينجم عن الخلط المتكرّر جداً في كلّ شيء بينها وبين تنظيم القاعدة. إنَّ جوهر [أو حقيقة] تنظيم القاعدة نادر الوجود بين الجماعات الجهاديَّة الأخرى نظراً لتركيزه على "العدو البعيد" (الغرب)، وذلك على خلاف معظم الجماعات الجهاديَّة التي تقع شواغلها الرئيسة على مسافة أقرب إلى الوطن. ينطبق ذلك بشكل خاص على الدولة الإسلاميَّة، وتحديداً بسبب أيديولوجيتها. صحيح أنّها ترى الأعداء في كلّ مكان حولها، وقياداتها تتمنى كلَّ السوء لأمريكا، إلا أنَّ تطبيق الشريعة في دولة الخلافة من ناحية، والتوسُّع على حساب الأراضي [الإسلاميَّة] المجاورة من ناحية أخرى، يحتلان عندها أهميَّة قصوى. وقد ذكر البغدادي ذلك بشكل فيه قدر كبير من المباشرة: في شهر نوفمبر [2014]، أخبر البغدادي عملاءه السعوديين بأن "يتعاملوا مع الرافضة (الشيعة) أولاً...، ثم يتعاملوا بعد ذلك مع آل سلول[20] al-Sulul (المؤيِّدين من السُّنَّة للنظام الملكي السعودي)...قبل التعامل مع الصليبيين وقواعدهم".

يمكن لموسى سيرانتونيو وأنجم تشوداري أن يتحوَّلا ذهنياً من التفكير في الموت الجماعي إلى مناقشة مزايا القهوة الفيتناميَّة، مع بهجة واضحة على كلٍّ منهما.

المقاتلون الأجانب وزوجاتهم وأطفالهم سافروا إلى دولة الخلافة بتذاكر ذهاب بلا عودة: إنَّهم يريدون العيش في ظلّ الشريعة الإسلاميَّة الحقيقيَّة، والسواد الأعظم منهم يريد الاستشهاد. فالعقيدة [الإسلاميَّة]، كما ذكرتُ قبل ذلك، تتطلب من المؤمنين أن يقيموا في دولة الخلافة إذا كان بإمكانهم أن يفعلوا ذلك.

20- هو لقب يطلقه بعض الجهاديين على العائلة الحاكمة في المملكة العربية السعوديَّة (آل سعود) وأنصارهم باعتبارهم مرتدّين. ويصف هؤلاء المتطرفون آل سعود بالسلوليين نسبة إلى عبد الله بن أبي سلول المعروف في التراث الإسلامي بعدائه للإسلام، حتى لُقِّبَ بكبير المنافقين. (المترجم).

أحد فيديوهات الدولة الإسلاميَّة الأقلّ دمويَّة يُظهر مجموعة من الجهاديين وهم يحرقون جوازات سفرهم الفرنسيَّة، والبريطانيَّة، والاستراليَّة. إنَّ هذا سيكون عملاً غريباً بالنسبة إلى شخص ينوي العودة لتفجير نفسه في طابور في متحف اللوفر أو احتجاز رهينة أخرى في متجر شوكولاته بمدينة سيدني

هاجم عدد قليل من أنصار الدولة الإسلاميَّة الذين ينتمون لما يُسمَّى "الذئاب المنفردة"[21] lone wolf أهدافاً غربيَّة، والمزيد من الهجمات سوف يأتي. ولكنَّ معظم المهاجمين كانوا من الهواة الذين عجزوا عن الهجرة إلى دولة الخلافة بسبب مصادرة جوازات سفرهم أو مشاكل أخرى. حتى لو كانت الدولة الإسلاميَّة تسعد بهذه الهجمات ـ كما يتضح من خلال دعايتها ـ فإنَّها لم تخطط وتمول أيَّاً منها بعد. (الهجوم على مقر صحيفة تشارلي إبدو Charlie Hebdo في باريس في يناير [2015] كان أساساً عمليَّة تابعة لتنظيم القاعدة.) أثناء زيارته للموصل في ديسمبر [2014]، أجرى يورغين تودينهوفر Jürgen Todenhöfer حديثاً صحفياً مع جهادي ألماني بدين، وسأله عمَّا إذا كان أيٌّ من رفاقه قد عاد إلى أوروبا لتنفيذ هجمات. بدا أنَّ الجهادي ينظر إلى العائدين [إلى أوروبا] باعتبارهم هاربين وليس باعتبارهم جنوداً. قال نصاً: "الحقيقة أنَّ العائدين من الدولة الإسلاميَّة ينبغي أن يتوبوا من عودتهم". وأضاف قائلاً: "آمل أن يراجعوا [تعاليم] دينهم".

يمكن أن نفهم على نحو سليم أنَّه من المرجح أنَّ الدولة الإسلاميَّة تحمل بذور فنائها. فليس هناك أيُّ حلفاء لها من الدول، وأيديولوجيتها تضمن أنَّها ستظل على هذه الحال. فالأرض التي تسيطر عليها، على الرغم من أنَّها فسيحة، إلا أنَّها في معظمها ليست مأهولة بالسكان، فضلاً عن فقرها. ولأنَّها مُحاصرة أو تنكمش ببطء، فإنَّ ادعاءها أنَّها أداة تحركها الإرادة الإلهيَّة وأنَّها السبيل إلى نهاية العالم سوف يضعف، وبالتالي فإنَّ عدداً أقلَّ من المؤمنين سوف يقصدها. وكما ورد في تقارير، تُعَبِّر عن حالة من البؤس، مسرَّبة من إقليم الدولة الإسلاميَّة، فإنَّ الحركات الإسلاميَّة المتطرفة في كلّ مكان سوف تفقد مصداقيتها: لا أحد حاول بجديَّة تطبيق الشكل الصارم للشريعة عن طريق العنف. هذا هو ما يبدو عليه حال الدولة الإسلاميَّة.

رغم ذلك، فمن المرجح ألا يكون فَناء الدولة الإسلاميَّة سريعاً، فالأمور قد تظلُّ على غير ما يُرام بشكل سيء: لو حصلت الدولة الإسلاميَّة على ولاء تنظيم القاعدة ـ الذي سيزيد بسرعة خاطفة من تماسك قاعدة الدولة الإسلاميَّة ـ فإنَّ ذلك قد يُعَظِّم من قدرات عدو أسوأ ممَّا رأينا حتى الآن. إنَّ الشقاق بين الدولة الإسلاميَّة وتنظيم القاعدة، على الأرجح، قد ازداد في الأشهر القليلة الماضية؛ ظهر في عدد ديسمبر [2014] من مجلة دابق تقرير طويل لمنشق عن تنظيم القاعدة وصف فيه جماعته القديمة بأنَّها فاسدة وغير فعَّالة، كما وصف الظواهري بأنَّه قائد من الماضي البعيد وغير كفء. ولكن ينبغي علينا أن نراقب بعناية أيَّ تقارب بينهما.

21- وفقا لاستراتيجيَّة الذئاب المنفردة، تقوم بعض الخلايا النائمة المنتمية سراً لبعض الجماعات بالقيام بأعمال عنف كنوع من الدعم لهذه الجماعات، ولكن بشكل فردي بعيداً عن الهيكل التنظيمي لهذه الجماعات. (المترجم).

بدون التعرُّض لكارثة مثل هذه[22] بأيَّة طريقة، أو ربما تهديد الدولة الإسلاميَّة باقتحام أربيل، فإنَّ غزواً بريَّاً ضخماً سوف يجعل الوضع أسوأ بالتأكيد.

خامساً: النصح بالعدول

سيكون تفكيراً سطحياً، حتى لو كان ذلك بمثابة تبرئة [للإسلام]، أن ندَّعي أنَّ مشكلة الدولة الإسلاميَّة هي "مشكلة مع الإسلام". فالدين يسمح بالعديد من التفسيرات، وأنصار الدولة الإسلاميَّة تشبثوا أخلاقياً بتفسير واحد فقط اختاروه من بين هذه التفسيرات. ومع ذلك، فإنَّ القيام بكلّ بساطة باستنكار وصف الدولة الإسلاميَّة بأنَّها ليست إسلاميَّة يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسيَّة، ولاسيَّما إذا كان هؤلاء الذين يسمعون الرسالة قد قرؤوا النصوص [الإسلاميَّة] المقدَّسة ورأوا فيها تأييداً للعديد من ممارسات دولة الخلافة مكتوباً بوضوح.

يمكن أن يقول المسلمون إنَّ الرّق غير شرعي، وإنَّ الصلب خطأ في هذه المرحلة التاريخيَّة. كثيرون يقولون هذا بالحرف. ولكنَّهم لا يستطيعون إدانة الرّق أو الصلب صراحة دونما تعارض مع القرآن والقدوة النبويَّة. يقول برنارد هايكل: "الأرضيَّة الأساسيَّة التي يمكن أن يستند إليها المعارضون للدولة الإسلاميَّة هي القول إنَّ بعض النصوص الأساسيَّة والتعاليم التقليديَّة للإسلام لم تعد صالحة". ولكنَّ مثل هذا القول سيكون عملاً من أعمال الردَّة.

تمتلك أيديولوجيَّة الدولة الإسلاميَّة تأثيراً قوياً على مجموعة فرعيَّة معيَّنة من السكَّان. نفاق الحياة وتناقضاتها يتلاشيان في وجه هذه المجموعة. كان موسى سيرانتونيو والسلفيون الذين قابلتهم في لندن واثقين جداً ممَّا يقولون: لم يتلعثموا عند إجابتهم عن أيّ سؤال طرحته عليهم. لقد ألقوا عليَّ محاضرات طويلة تُقنع مَنْ يقبل مقدماتهم. إنَّ وصفهم بأنَّهم غير إسلاميين يبدو، بالنسبة إليَّ، دعوة لهم للدخول في محاججة سوف يكسبونها. لو كانوا مجانين مندفعين، ربما كان بمقدوري أن أتنبأ بأنَّ حركتهم ستنتهي بتفجيرهم لأنفسهم مثل المرضى النفسيين، الواحد تلو الآخر، أو أنَّها ستتحول إلى ضجَّة ستنقضي شيئاً فشيئاً. ولكن هؤلاء يتحدثون على نحو أكاديمي دقيق جعلني أعود بذاكرتي إلى سمينارات الدراسات العليا. حتى أنَّني استمتعت بصحبتهم، وهذا أخافني مثل أيّ شيء آخر.

لا يمكن لغير المسلمين أن يخبروا المسلمين عن الكيفيَّة التي يمارسون بها دينهم بشكل صحيح. ولكنَّ المسلمين [أنفسهم] قد بدؤوا هذا الجدل داخل صفوفهم منذ فترة طويلة. أخبرني أنجم تشوداري قائلاً: "يجب أن يكون لديك معايير". وأضاف: "أيّ شخص يمكن أن يدَّعي أنَّه مسلم، ولكن إذا اعتقد هذا الشخص في

22- الكارثة التي يقصدها الكاتب هنا هي إعلان تنظيم القاعدة الولاء للدولة الإسلاميَّة.

الشذوذ الجنسي أو شرب الكحوليَّات، فإنه حينئذٍ لا يكون مسلماً. فأمر المسلم في الإسلام ليس مثل النباتي vegetarian الذي يستطيع في أي وقت أن يترك النظام الغذائي الخاص بالنباتيين.

على الرغم من ذلك، هناك شاطئ آخر للإسلام another strand of Islam يقدّم بديلاً متشدّداً للدولة الإسلاميَّة، بديلاً لا هوادة فيه أيضاً، ولكن مع استنتاجات معاكسة [أو مغايرة]. هذا الشاطئ أثبت قدرته على إثارة اهتمام الكثير من المسلمين، سواء كانوا من اللاعنين أو المباركين لتلك الرغبة النفسيَّة الجامحة لرؤية كلّ ذرّة أو أيّ جزء صغير من النصوص المقدَّسة يُطبَّق كما كان يُطبَّق في الأيام الأولى للإسلام. يعرف أنصار الدولة لإسلامية كيفيَّة التعامل مع المسلمين الذين يتجاهلون أجزاء من القرآن: إمَّا بتكفيرهم أو بالسخرية منهم. ولكنَّهم يعرفون أيضاً أنَّ بعض المسلمين الآخرين يقرؤون القرآن بدأبٍ مثلهم، ويشكلون خطراً أيديولوجياً حقيقياً عليهم.[23]

البغدادي سَلفي، لقد تمَّ تشويه مصطلح السَّلفيَّة، ويعود ذلك جزئياً إلى الأشرار الحقيقيين الذين انخرطوا في معركة يلوحون فيها براية السلفيَّة[24]. ولكنَّ معظم السلفيين ليسوا جهاديين، كما أنَّ معظمهم على علاقة وطيدة بالطوائف التي ترفض الدولة الإسلاميَّة. إنَّهم، كما لاحظ هايكل، يتعهَّدون بتوسيع دار الإسلام، أي أرض الإسلام، حتى، ربما، مع تطبيق ممارسات وحشيَّة مثل الرّق وبتر الأطراف، ولكن في مرحلة ما في المستقبل. يعطي السلفيون أولويَّة للتطهير الذاتي وأداء الشعائر الدينيَّة، وهم يعتقدون أنَّ أيَّ شيء يعوق تلك الأهداف ـ مثل التسبُّب في الحرب أو اضطرابات من شأنها عرقلة الحياة وتعطيل أداء الصلاة والتحصيل العلمي ـ يكون مُحَرَّماً.

السلفيون يعيشون بيننا. قمت في الخريف الماضي [2014] بزيارة إمام سلفي لمسجد فيلادلفيا Philadelphia mosque يُدْعَى بريتون بوسياس Breton Pocius، 28 عاماً، وهو معروف باسم عبد الله. مسجده على الحدود بين حي ليبرتيز الشمالي Northern Liberties الذي يعاني من الجريمة ومنطقة أرستقراطيَّة يمكن أن نسميها دار الهيبستر Dar al-Hipster؛ تسمح له ذقنه بالمرور في المنطقة الأرستقراطيَّة دون أن يلاحظه أحد تقريباً.

23- يشير الكاتب هنا ـ كما سيتضح خلال الجزء الباقي من المقال ـ إلى السلفيَّة الدعويَّة التي تتبنى تفسيراً متشدداً أيضاً للإسلام على غرار التفسير الذي تتبناه داعش، ولكنّها تنتهي إلى نتائج أخرى مغايرة لما انتهت إليه الدولة الإسلاميَّة. على سبيل المثال، كما يذهب الكاتب، يرى السلفيون الدعويون، على خلاف داعش، أنّ تطبيق تفسيرهم للإسلام يحتاج إلى وقت، كما أنَّ ذلك لا يكون إلا باتباع الطرق السلميَّة وليس بالعنف، والدعاء للناس بالهداية. وهذا ما قصده الكاتب في بداية الفقرة بالنتائج المعاكسة لدى كلٍّ منهما رغم التشابه الكبير بينهما في تفسير القرآن.

24- يقصد الكاتب هنا السلفيَّة الجهاديَّة التي تتخذ العنف وحمل السلاح وسيلة لتطبيق الشريعة.

يوجد بديل ديني للدولة الإسلاميَّة، بديل لا هوادة فيه أيضاً، ولكن مع استنتاجات معاكسة.

تحوَّل بوسياس إلى الإسلام منذ خمسة عشر عاماً بعد تنشئة كاثوليكيَّة بولنديَّة في شيكاغو. إنَّه يتحدَّث، على غرار سيرانتونيو، وكأنَّه روح قديمة like an old soul، كاشفاً عن ألفة عميقة لديه تجاه النصوص القديمة، والتزام بها بدافع الفضول والمعرفة، والقناعة التامَّة بأنَّها السبيل الوحيد للهروب من نار جهنم. عندما قابلته في مقهى محلي، كان يحمل دراسة أكاديميَّة باللغة العربيَّة في القرآن وكتاباً يتعلم منه اللغة اليابانيَّة. كان يُعِدُّ خطبة لصلاة الجمعة عن واجبات الأبوَّة لإلقائها على سمع 150 أو نحو ذلك من المصلين.

قال بوسياس إنَّ هدفه الرئيس هو تشجيع المصلين في مسجده على الحياة الحلال a halal life. ولكنَّ صعود الدولة الإسلامية أجبره على أن يأخذ بعين الاعتبار المسائل السياسيَّة التي عادة ما تكون بعيدة جداً عن أذهان السلفيين. أخبرني بوسياس في هذا الصدد قائلاً: "معظم ما سوف يقولونه حول كيفيَّة الصلاة وكيفيَّة ارتداء الملابس هو بالضبط ما سوف أقوله في مسجدي. ولكن عندما يتطرقون إلى مسائل تدور حول الاضطرابات الاجتماعيَّة، فإنَّهم يبدون مثل تشي غيفارا Che Guevara."

عندما ظهر البغدادي، تبنَّى بوسياس شعار "ليس خليفتي". قال بوسياس لي: "كان زمن النبي يمثل فترة من العنف الشديد، وقد علم حينئذٍ أنَّ أسوأ حالة يمكن أن يتعرَّض لها الناس هي الفوضى، وخاصة داخل الأمَّة (المجتمع المسلم)." وعليه، كما ذكر بوسياس، فإنَّ الموقف الصحيح للسلفيين هو محاولة درء الفتنة التي تتأتَّى من تقسيم المسلمين إلى فصائل وتكفيرهم لبعضهم بعضاً.

على خلاف ذلك، فإنَّ بوسياس ـ مثل الأغلبيَّة من السلفيين ـ يعتقد أنَّ المسلمين ينبغي أن ينأوا بأنفسهم عن السياسة. هؤلاء السلفيون المنعزلون [عن السياسة]، كما هو معروف عنهم، يتفقون مع الدولة الإسلاميَّة في أنَّ الشريعة الإلهيَّة هي القانون الوحيد، كما أنَّهم يمتنعون عن ممارسات [سياسيَّة] مثل التصويت وتكوين أحزاب سياسيَّة. لكنَّهم يرون أنَّ كراهية القرآن للفتنة والفوضى تتطلب منهم أن يتوافقوا مع أيّ حاكم، بما في ذلك المذنبون منهم بشكل واضح. قال بوسياس لي: "قال النبي: طالما أنَّ الحاكم لم يدخل في الكفر البواح [الصريح]، وجبت الطاعة العامَّة له"، كما أنَّ كتب العقيدة الكلاسيكيَّة حذَّرت من أسباب الاضطرابات الاجتماعيَّة. يُحرَّم تماماً على السلفيين المنعزلين [عن السياسة] إقامة الشقاق بين المسلمين عن طريق التكفير الجماعي، على سبيل المثال. قال بوسياس إنَّ العيش بدون بيعة لا يجعل المرء جاهلاً أو ضالاً. لكنَّ البيعة لا تعني بالضرورة الولاء المباشر للخليفة، وبالتأكيد ليس لأبي بكر البغدادي. يمكن أن تعني البيعة، بالمعنى الواسع، الولاء لعقد اجتماعي ديني والارتباط بمجتمع المسلمين، سواء حُكِمَ بواسطة الخليفة أم لا.

يعتقد السلفيون المنعزلون [عن السياسة] أنَّه ينبغي على المسلمين أن يوجهوا طاقاتهم نحو تهذيب حياتهم الشخصيَّة، بما في ذلك أدائهم للصلاة، وإقامة الشعائر الدينيَّة، والالتزام بالعادات المُفضية إلى الصحَّة. على غرار السلفيين، يوجد متشدّدون دينيون كثيرون من اليهود يختلفون حول ما إذا كان تمزيق ورق التواليت يوم السبت موافق للشريعة اليهوديَّة أم لا (هل يُعدُّ ذلك "تمزيقاً للثياب"؟)[25] فالسلفيون يقضون قدراً هائلاً من الوقت للتأكد من أنَّ سراويلهم ليست طويلة جداً، وأنَّ لحاهم مهذبَّة في بعض المناطق وشَعِثة في مناطق أخرى. من خلال هذه الحساسيَّة المفرطة في أداء الشعائر الدينيَّة، فإنَّهم يعتقدون أنَّ الله سوف يميزهم بالقوة والعدد، وربما بنهوض الخلافة. وعندئذٍ سوف ينتقم المسلمون وسيحققون، بالفعل، النصر المجيد في دابق. ولكنَّ بوسياس يستشهد بعدد كبير من علماء الدين السلفيين المحدثين الذين يزعمون أنَّ الخلافة لا يمكن أن تخرج إلى حيز الوجود على نحو أخلاقي إلا عن طريق إرادة إلهيَّة لا تخطئ.

بالطبع، الدولة الإسلاميَّة ستؤكد وتقول إنَّ الله هو الذي اختار البغدادي. كلام بوسياس هو بمثابة دعوة للتواضع. استشهد بوسياس بعبد الله بن عباس، أحد أصحاب النبي، الذي جلس مع الخوارج وسألهم عن كيفيَّة امتلاكهم لهذا القدر من الوقاحة، كأقليَّة، لدرجة أنَّهم يخبرون الأغلبيَّة بأنَّهم كانوا على خطأ. الخروج في حد ذاته إلى حد إراقة الدماء أو تقسيم الأمَّة مُحَرَّم شرعاً. حتى طريقة إقامة خلافة البغدادي، فإنَّها تتناقض مع التوقعات. "فالخلافة شيء سيقام، وسوف يكون عليها إجماع من العلماء في مكَّة والمدينة المنوَّرة. وهذا ما لم يحدث. فداعش جاءت من العدم"، هكذا أخبرني بوسياس.

الدولة الإسلاميَّة تحتقر هذا الكلام، والمهووسون بها ينشرون تغريدات ساخرة عن السلفيين المنعزلين [عن السياسة]. إنَّهم يصفونهم، على سبيل السخرية، بأنَّهم "سلفيو الحيض"Salafis of menstruation، وذلك بسبب انشغالهم باجتهادات ضبابيَّة ملتبسة بشأن الوقت الذي تكون أو لا تكون المرأة فيه طاهرة، وغيرها من الجوانب الحياتيَّة ذات الأولويَّة الأدنى. نشر أحدهم تغريدة تفتقر إلى العاطفة يقول فيها: "نريد الآن فتوى عن كيفيَّة تحريم ركوب الدرَّاجة على كوكب المشتري. هذا ما ينبغي أن يركز عليه العلماء. فهذه أمور أكثر إلحاحاً من حال الأمَّة". أنجم تشوداري، من جهته، يقول إنَّه لا يوجد ذنب يستحق مقاومة [أو مواجهة] قويَّة أكثر من اغتصاب شريعة الله، وإنَّ التطرُّف في سبيل الدفاع عن عقيدة التوحيد ليس عيباً.

لم يتقاضَ بوسياس أيَّ دعم رسمي من الولايات المتحدة، باعتبارها نفوذاً مضاداً للنزعة الجهاديَّة. في الواقع، فإنَّ الدعم الرسمي سوف يشوّه مصداقيته [أي بوسياس]، وعلى أيَّة حال فإنَّه يشعر بالاستياء تجاه أمريكا بسبب معاملتها له باعتباره، على حد تعبيره، "أقل من مواطن". (إنَّه يزعم أنَّ الحكومة دفعت جواسيس للتسلل إلى مسجده وتحرَّشت بأمّه في العمل عن طريق توجيه أسئلة لها حول كونه إرهابياً محتملاً.)

25- يُحرَّم في الشريعة اليهوديَّة تمزيق الثياب يوم السبت، لأنَّ ذلك يعتبر عندهم مظهراً من مظاهر الحزن التي لا تجوز في ذلك اليوم المقدَّس. (المترجم).

على الرغم من ذلك، فإنَّ النزعة السلفيَّة الانعزاليَّة لدى بوسياس تقدّم ترياقاً (أو علاجاً) إسلاميَّاً للنمط الجهادي الذي يتبنَّاه البغدادي. لا يمكن إيقاف الناس الذين وصلوا للإيمان ولديهم توق شديد للقتال عن الجهاد، ولكن هؤلاء الذين يكون دافعهم الرئيس هو إيجاد محافظ متشدّد an ultraconservative، وصورة لا هوادة فيها عن الإسلام، فإنَّهم لديهم بديل هنا [أي في السلفيَّة الانعزاليَّة]. فالسلفيَّة الانعزاليَّة لا تمثل الإسلام المعتدل، فمعظم المسلمين ينظرون إليها باعتبارها متطرّفة. رغم ذلك، فإنَّ السلفيَّة الانعزاليَّة تمثل شكلاً للإسلام لن يجده الآن أصحاب العقليَّة الحَرفِيَّة[26] the literal-minded مجرَّد شكل ريائي [أو زائف] للإسلام، أو شكل تمَّ التخلص فيه، على نحو فيه تجديف على الله، من الصعوبات الموجودة في الإسلام. فالرياء [أو الزَيْف] ليس إثماً يمكن أن يجيزه أبداً الشباب المتفتح أيديولوجياً.

يبذل المسؤولون الغربيون قصارى جهدهم للإحجام تماماً عن الإدلاء بدلوهم في مسائل الجدل العقائدي الإسلامي. أوباما نفسه انجرف لمياه التكفير عندما ادَّعى أنَّ الدولة الإسلاميَّة "لم تكن إسلاميَّة". المفارقة هنا أنَّ أوباما، باعتباره ابناً غير مسلم لأبٍ مسلم، قد يكون هو نفسه قد صُنِّفَ كمرتد، ومع ذلك فإنَّه الآن يمارس التكفير ضدَّ المسلمين. إنَّ ممارسة غير المسلمين للتكفير أمرٌ يثير ضحكاً خافتاً لدى الجهاديين ("مثل خنزير مغطَّى بالغائط يقدّم المشورة الصحيَّة للآخرين"، هكذا ورد في إحدى التغريدات على تويتر).

أظنُّ أنَّ معظم المسلمين يُقَدِّرون مشاعر أوباما؛ كان الرئيس يقف معهم ضدَّ كلٍّ من البغدادي والشوفينيين غير المسلمين الذين يحاولون توريطهم في الجرائم. ولكنَّ معظم المسلمين ليس لديهم قابلية للانضمام إلى الجهاد. أمَّا أولئك الذين لديهم هذه القابليَّة، فسوف تكون شكوكهم إزاء أمريكا قد تأكَّدت [بسبب موقفها من الدولة الإسلاميَّة]: الولايات المتحدة تكذب بشأن الدين لخدمة أغراضها.

تتغنَّى الدولة الإسلاميَّة بالهِمَّة وبالإبداع، داخل الحدود الضيقة لعقيدتها. أمَّا خارج تلك الحدود فإنَّها تكون أكثر جَدباً وصمتاً: رؤية للحياة باعتبارها طاعة ونظاماً ونصيباً. يمكن لموسى سيرانتونيو وأنجم تشوداري أن يتحوَّلا ذهنياً من التفكير في الموت الجماعي والتعذيب الأبدي إلى مناقشة مزايا القهوة الفيتناميَّة أو الفطائر المحلَّاة، مع بهجة واضحة على كلٍّ منهما، لكن بالنسبة إليَّ يبدو أنَّه لتبنّي آرائهم يتعين رؤية كلّ ملذات الحياة التي تنمو من حولنا باعتبارها لا تساوي شيئاً مقارنة بنعيم الآخرة الذي لم ولن يخطر على قلب بشر.

كان يمكن أن استمتع بصحبتهم، كتجربة فكريَّة آثمة، إلى حد ما. اعترف جورج أورويل George Orwell، بعد انتهائه من قراءة كتاب كفاحي Mein Kampf [لهتلر] في مارس 1940، بأنَّه "لم يكن قادراً على كراهية هتلر"، شيء ما عن الرجل يكشف بوضوح عن شخصيَّة كانت ضحيَّة ظلم واضطهاد، حتى

26- يقصد الكاتب هنا أهل الظاهر الذين يقفون في فهمهم للإسلام عند ظواهر النصوص من الكتاب السُّنَّة.

عندما كانت أهدافه وضيعة وكريهة. يقول أورويل: "لو أنَّه قتل فأراً، فإنَّه سوف يعرف كيف يجعله يبدو كما لو كان تِنّيناً". يمتلك أنصار الدولة الإسلاميَّة إلى حد كبير الجاذبية نفسها. إنَّهم يعتقدون أنَّهم يشاركون بصفة شخصيَّة في صراعات تتجاوز حياتهم الخاصَّة، وأنَّ مجرَّد هزيمتهم في دراما [مأساويَّة]، في سبيل الحق، هو قمَّة الشرف والسعادة، لاسيَّما عندما يكون ذلك بمثابة مسؤوليَّة أُلقيت على عواتقهم.

ويواصل أورويل كلامه عن الفاشيَّة قائلاً: إنَّها أسلم بكثير من الناحية النفسيَّة من أيّ مفهوم هيدوني[27] hedonistic للحياة، في حين أنَّ الاشتراكيَّة، بل والرأسماليَّة أيضاً على نحوٍ أكثر تذمُّراً، قد قالتا للناس: "نحن نقدّم لكم وقتاً طيباً"، فقد قال هتلر لهم: "أنا أقدّم لكم النضال، والخطر، والموت"، ونتيجة لهذا طرحت الأمَّة بأكملها نفسها أرضاً عند قدميه. يجب علينا ألا نقلل من الجاذبيَّة العاطفيَّة للفاشيَّة.

فيما يتعلق بالدولة الإسلاميَّة كخصم لنا، فليست جاذبيتها الدينيَّة أو الفكريَّة هي التي تخبرنا عن طبيعة نشاط هذا الخصم، ولكن ما يخبرنا، على الأقل، عن ذلك هو اعتقادها الراسخ في التحقق الوشيك للنبوءات. إنَّها [وفقاً لهذه النبوءات] مستعدة لتشجيع إبادتها في القريب العاجل، كما أنَّها على ثقة من أنَّها، حتى عندما يتمُّ تضييق الخناق عليها، سوف تتلقى العون الإلهي إذا بقيت وفِيَّة للنموذج النبوي. الأدوات الأيديولوجيَّة قد تقنع بعض مَنْ لديهم القابليَّة للتحوُّل عن الجماعة [جماعة داعش] بأنَّ رسالتهم زائفة. والأدوات العسكريَّة يمكن أن تُحِدّ من فظائعها. ولكن بالنسبة إلى منظّمة عصيَّة على الاقتناع كالدولة الإسلاميَّة، فإنَّ اتخاذ بعض التدابير بخلاف ذلك [أي بخلاف اللجوء للأدوات الأيديولوجيَّة والأدوات العسكريَّة] سوف يكون مهمَّاً، كما أنَّ الحرب قد تكون عمليَّة طويلة، حتى لو لم تستمرّ إلى آخر الزمان.[28]

27- الهيدونيَّة (أو مذهب المتعة) Hedonismفي الأخلاق هو مذهب يركز على اللذة (أو المتعة) باعتبارها الخير الأقصى في الحياة. ويُقال إنَّ هذا المذهب بدأ على يد الفيلسوف اليوناني المعروف أرستبوس Aristippus (435 ق.م – 356 ق. م، الذي كان تلميذاً لسقراط قبل أن يبتعد عن المذهب العقلاني. (المترجم).

28- يرى الكاتب هنا أنَّ أفضل خيار للتعامل مع داعش ـ كما سبق أن أشار فيما سبق ـ هو الاستمرار في استنزافها ببطء، عن طريق الضربات الجويَّة والحرب بالوكالة، بدلاً من الخيارات العسكريَّة السيئة. ورغم أنَّ الكاتب يعلم أنَّ الأكراد أو الشيعة لن يستطيعوا أبداً دحر الدولة الإسلاميَّة في سورية والعراق ـ لأنَّهم مكروهون هناك، وليس لديهم رغبة في مثل هذه المغامرة ـ إلا أنَّهم سيمثلون عائقاً أمام توسع داعش، ذلك التوسع الذي تعتبره داعش واجباً يتعين عليها القيام به. وكما يرى الكاتب، فكلما فشلت داعش في توسيع رقعة دولتها، أصبحت أقلَّ شبهاً بدولة الغزو التي قادها النبي محمد، في حين أنَّها ستكون أكثر شبهاً بحكومة من حكومات الشرق الأوسط التي تفشل في تحقيق الرخاء لشعبها، ممَّا يؤدي إلى انفضاض أنصارها عنها.

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com